الفرقان
بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان
لشيخ الإسلام
ابن تيمية
تحقيق
ياسر سعيد اللقاني
قدم له وراجعه
مجدي فتحي السيد
المكتبة التوفيقية

إهـــــــداء ٢٠٠٩
دار الكتب و الوثائق القومية
القاهرة

الفرقان

بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

لشيخ الإسلام

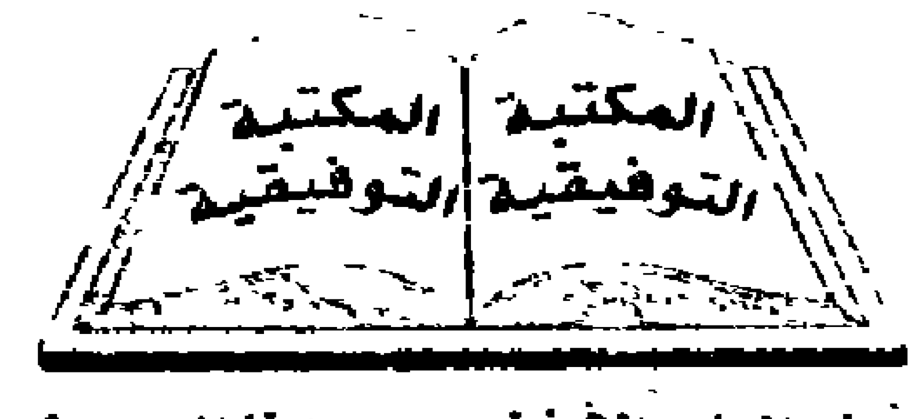
ابن تيمية

تحقيق

ياسر سعيد اللقاني

قدم له وراجعه

مجدي فتحي السيد



أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين
٥٩٠٤١٧٥ - ٥٩٢٢٤١٠





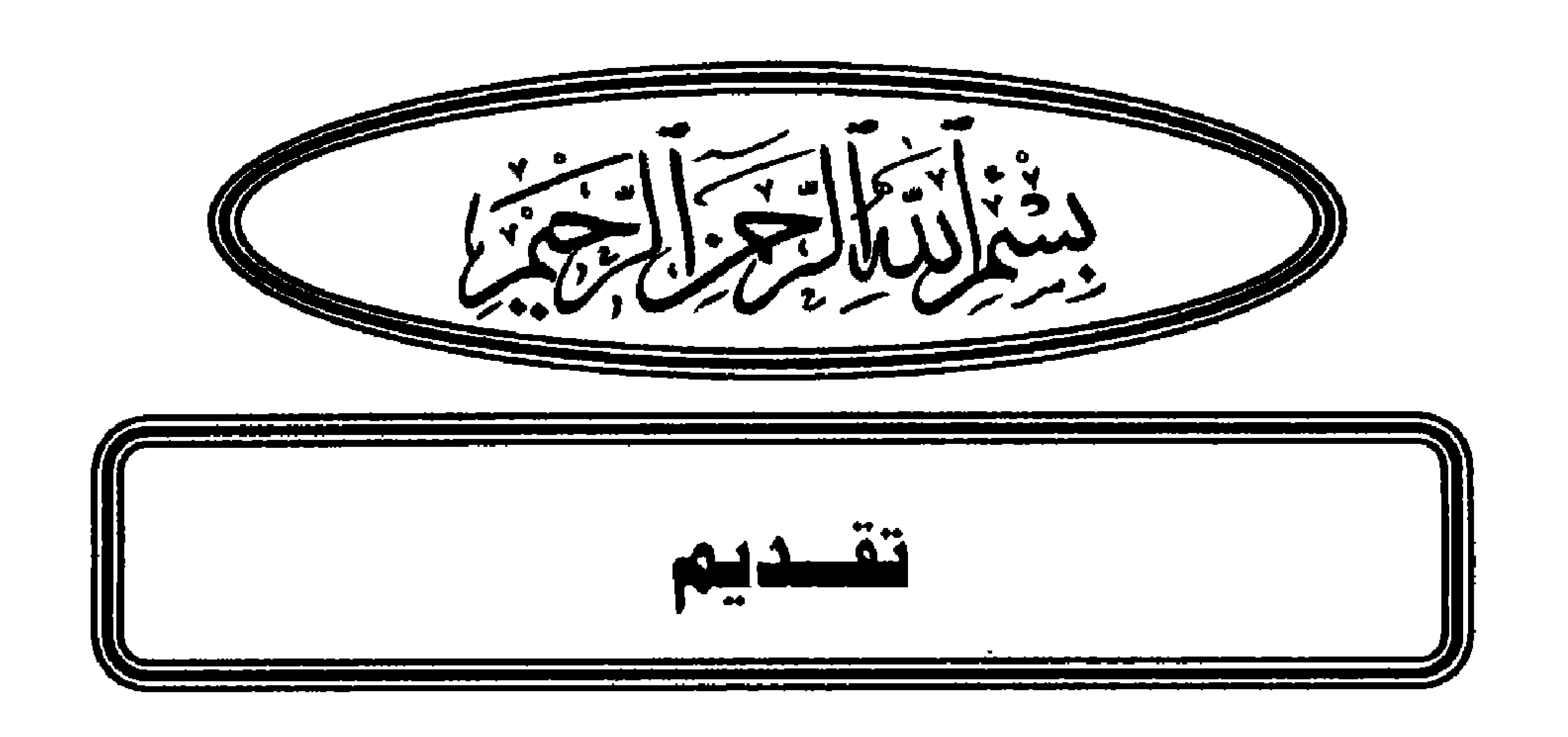
المكتبة التوفيقية

القاهرة - مصر
العنوان : أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين
تليفون : ٥٩٠٤١٧٥ - ٥٩٢٢٤١٠ (٠٠٢٠٢)
فاكس : ٦٨٤٧٩٥٧

Al Tawfikia Bookshop

Cairo - Egypt
Add : in front of the Green Door Of El Hussen
Tel : (00202) 5904175 -5922410
Fax : 6847957

إشراف
توفيق علام



تقديم

إن الحمد لله.. نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا.

من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد....

قال الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ

ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

ثم أما بعد..

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي نبينا محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

فهذا كتاب لشيخ الإسلام رحمه الله تعالى..

وهو وإن كان رسالة صغيرة إلا أنه يفيض بالعلم والفرقان بين الحق والباطل.

وقد تناول ((ابن تيمية)) مسألة الولاية في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وبين حقيقتها، ثم تكلم عن الفرق بين أولياء الرحمن وكيف تعرفهم وما هي علامة ولايتهم للرحمن جل وعلا، وبين أولياء الشيطان وكيف تعرفهم وعلامة ولايتهم للشيطان لعنه الله.

وقد أوضح شيخ الإسلام أن أحق الناس بولاية الله هم أنبياؤه عليهم السلام، ومن تبعهم وسار على نهجهم، وبين أن أولياء الشيطان لو ذكروا الله سبحانه وتعالى دائما ليلا ونهارا مع غاية الزهد وعبدوه مجتهدين في عبادته ولم يكونوا متبعين لذكره الذي أنزله — وهو القرآن — كانوا من أولياء الشيطان، ولو طاروا في الهواء أو مشوا على الماء، فإن الشيطان يحملهم في الهواء. وهذا مبسوط في غير هذا الموضع.

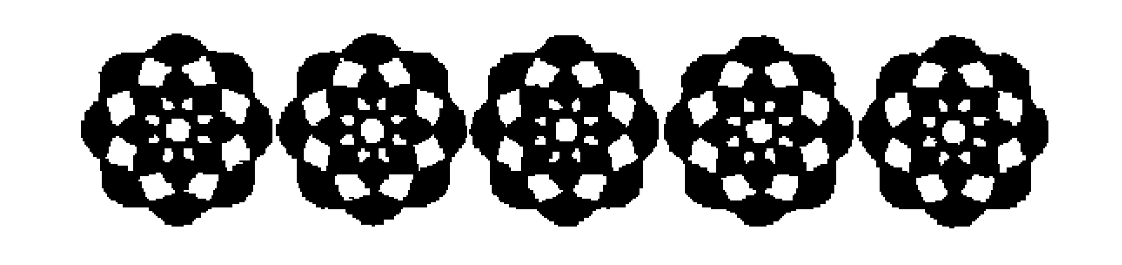
وقد بين أخطاء الفلاسفة والصوفية في فهم معنى الولاية ومن هو الولي، وأوضح حقيقة الصوفية وحسم النزاع حول حقيقة مسمياتهم.

وقد بين أيضا أن الولي ليس بمعصوم ولذلك لا يجب علينا اتباعه في كل شيء فكل يؤخذ منه ويرد إلا النبي ﷺ فهو المعصوم عليه الصلاة والسلام، وهو المتبوع بأمر من الله سبحانه وتعالى. لذلك فإن الوصول إلى الله لا يكون إلا باتباعه ﷺ.

وقد بين رحمه الله أن غاية الكرامة في لزوم الاستقامة.

والكتاب لما فيه من تبين الحق والاعتصام بالكتاب والسنة، ينصح لكل مسلم في كل مكان أن يقتنيه، ولنترك لقارئنا العزيز المجال حتى يتبحر ويتعمق في هذا الكتاب وليفرق هو بنفسه بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

ونسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن ينفعنا به والمسلمين في كل مكان وفي كل وقت وحين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى اللهم وسلم وبارك على سيد المرسلين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.



ترجمة المؤلف

أولا: نسبه ونشأته:

هو شيخ الإسلام، الإمام المجتهد، تقي الدين، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني.

ولد بحران في عاشر ربيع الأول سنة «٦٦١هـ»، ثم ارتحل والده به، وبأخويه إلى دمشق فيمن هاجر إليها من المسلمين فرارا من التتار، الذين أغاروا على بلاد الإسلام في ذلك العهد، وأظهروا في الأرض الفساد.

فذهب رحمه الله إلى دمشق، وتلقى العلم على مشايخها، واعتنى بالحديث، فسمع المسند مرات عديدة، والكتب الستة، ومعجم الطبراني الكبير، وما لا يحصى من كتب السلف الصالح في شتى مناحي العلم، ثم أقبل على التفسير إقبالا كليا حتى سبق فيه، وأحكم أصول الفقه، كل ذلك وهو ابن بضع عشرة سنة، فانبهر علماء عصره من فرط ذكائه، وسيلان ذهنه، وقوة حافظته.

وكان يحضر إلى المحافل العلمية، فيناظر، ويناقش، وأفتى وله أقل من تسع عشرة سنة، وتوفي والده، وعمره إحدى وعشرون سنة، فقام مكانه بتفسير القرآن أيام الجمع في المسجد الجامع.

وهنا يحق لنا أن نقول: إنه لا عجب، ولا غرو في نبوغه رحمه الله فقد وهبه الله كل عوامل النبوغ ومؤهلاته: وراثة طيبة عميقة الجذور العلمية، وقوة عقلية، وذهنية بلغت حد الإعجاب.

ثم اتجه بعد ذلك إلى الحديث رواية وحفظا، فرواه عن أعلامه، وكبار شيوخه في وقته كابن أبي اليسر، ومجد الدين بن عساكر، وفخر الدين بن البخاري وغيرهم.

ومع الحفظ والرواية كان دؤبا على الدروس العلمية، والبحث في مختلف

العلوم، وقلما يزاول علما من العلوم، إلا ويفتح الله عليه فيه.

وكان يكتب في كل يوم وليلة في فقه، أو أصوله، أو تفسير، أو في الرد على الفلاسفة وأهل النحل والملل، نحوا من أربع كراسات.

ثانيا: صفاته الشخصية والعلمية:

كان يمتاز رحمه الله بالشجاعة والجلد في النصح لله، وللأمة، وكان يدعو إلى ما كان عليه سلفنا الصالح، فأظهر الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر في كل مكان، كان يذهب إليه. وامتاز رحمه الله بقوة الحافظة، فكاد أن يستوعب السنن والآثار حفظا، إن تكلم في التفسير فهو صاحب علمه، وإن أفتى في الفقه فهو مدرك غايته، أو في الحديث فهو حامل رايته.

ومن صفاته رحمه الله كان عالي الهمة، عزيز النفس، لا يذل، ولا يماري، وكان صريحا إلى أبعد حدود الصراحة في رأيه، ومناظراته، ومؤلفاته.

فمن مواقفه الجريئة التي حفظها لنا التاريخ ما يلي:

١ – لما زحف التتار إلى الشام، وتسامع الناس بأنهم سيقصدون مصر بعد ذلك، امتلأت قلوبهم بالرعب، واتفق أعيان الشام مع شيخ الإسلام ابن تيمية على لقاء ملكهم قازان، فذهبوا إليه، وتكلم معه ابن تيمية كلاما شديدا، وكانت الغاية أخذ الأمان لأهل دمشق، ثم إيقاف الزحف، فجلس الشيخ أمام قازان الذي طلب الدعاء منه، فرفع يديه، ودعا له دعاء منصفا، أكثر عليه، وقازان يؤمن على دعائه.

وهذا الموقف يوضح بجلاء ما كان لديه من شجاعة، وتوكل وثقة في الله تعالى، في الوقت الذي هرب فيه الكثير من الأمراء، والعلماء، بل فر أغلب أهل الشام خوفا من بطش التتار وجبروتهم.

وهكذا يعلمنا الإمام رحمه الله أن المؤمن الصادق في دعوته إلى الله يقف في المحن والشدائد صابرا، لا يخضع، ولا يلين، لأي ظالم كان من كان.

٢ – وشكا رجل من الناس إلى ابن تيمية من ظلم نزل به من أميره، وكان

هذا الأمير فيه جبروت وغلظة، فدخل عليه الشيخ غير هياب، ولا وجل، فقال الأمير: أنا كنت أريد أن أجيء إليك لأنك عالم زاهد، يعني بهذا الاستهزاء من الشيخ.

فقال الشيخ: موسى كان خيرا مني؛ وفرعون كان شرا منك، وكان وموسى يجيء إلى باب فرعون كل يوم ثلاث مرات، ويعرض عليه الإيمان.

٣ – يذكر ابن كثير في حوادث سنة « **٦٩٩ هـ** » أنه في السابع عشر من رجب دار الشيخ ابن تيمية رحمه الله وأصحابه على الخمارات والحانات، فكسروا أواني الخمور وأراقوها وعزروا الناس الذين اتخذوا تلك الأماكن للفحش، ففرح الناس بذلك.

ثالثا: شيوخه وتلاميذه:

حكى البرزالي أن شيوخه أكثر من مائة شيخ، وهذا القول يوضح لنا كيف كانت همة الشيخ في السماع كبيرة.

وفي خبر آخر يروى أنه قد بلغ عدد من سمع منهم أكثر من مائتين عالم.

فسمع في دمشق ابن عبد الدائم، وابن أبي اليسر، والمجد بن عساكر، ويحيى بن الصيرفي، والشيخ شمس الدين ابن أبي عمر، وغيرهم.

وقد أخذ الفقه والأصول عن والده، والشيخ زين الدين ابن المنجا، وقرأ العربية على ابن عبد القوي، وسمع الحديث عن شمس الدين عطاء الحنفي، وابن علان، والكمال عبد الرحيم، وابن شيبان، وغيرهم من شيوخ الحديث حدث عنه خلق كبير منهم: الذهبي، والبرزالي، وأبو الفتح بن سيد الناس، ويكفيه فخرا، أن من تلاميذه ابن قيم الجوزية الذي أضاف للمكتبة الإسلامية العامرة، عشرات المؤلفات النافعة الطيبة.

رابعا: ثناء العلماء عليه:

قال الشيخ عماد الدين الواسطي:

فوالله لم ير تحت أديم السماء مثل ابن تيمية علما وعملا، وحالا وخلقا،

وحلما وقياما في حق الله تعالى عند انتهاك حرماته، أصدق الناس عقدا، وأصحهم علما، وحزما، وأعلاهم في انتصار الحق، وقيامه همة، وأسخاهم كفا، وأكملهم اتباعا للنبي ﷺ.

وقال الحافظ الذهبي صاحب المصنفات الذائعة:

شيخنا، وشيخ الإسلام، وفريد العصر علما ومعرفة، وشجاعة، وذكاء، ونصحا للأمة، وأمرا بالمعروف، ونهيا عن المنكر، ومحاسنه كثيرة، وهو أكبر من أن ينبه على سيرته مثلي، فلو حلفت بين الركن والمقام لحلفت أني ما رأيت بعيني مثله، وأنه ما رأى مثل نفسه.

وقال ابن الزملكاني إمام الشافعية في عصره:

ماذا يقول الواصفون له ... وصفاته جلت عن الحصر
هو حجة لله باهرة ... هو بيننا أعجوبة الدهر
هو آية للخلق ظاهرة ... أنوارها أربت على الفجر

وقد أجمع مؤرخوا ابن تيمية على أنه كان في عصره أمة وحده، قد توافرت لديه شروط الاجتهاد، وبلغ رتبة الإمامة، في كل فن مارسه، فكان في العلوم إماما متبعا، سلفى العقيدة والنهج.

خامسا: مؤلفاته:

قال الإمام الذهبي: كان بحور العلم، أثنى عليه الموافق والمخالف، وسارت بتصانيفه الركبان، لعلها ثلاثمائة مجلد.

وقال ابن العماد الحنبلي صاحب «شذرات الذهب»: إن تصانيفه تبلغ خمسمائة مجلدة.

وهذا يبين لنا مدى سعة التراث العلمي الذي تركه لنا شيخ الإسلام ابن تيمية، وفي هذه الأيام - القرن العشرين — جمع أحد العلماء فتاوى ابن تيمية، فوصلت إلى سبعة وثلاثين مجلدا كبيرا، تسمى «**مجموع فتاوى ابن تيمية**».

ومن مؤلفاته الذائعة المطبوعة، نختار بعضها، فنذكر منها:

١ – «**اقتضاء الصراط المستقيم**».

٢ – «**رفع الملام عن الأئمة الأعلام**».

٣ – «**التوسل والوسيلة**».

٤ – «**الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**».

٥ – «**السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية**».

٦ – «**الفرقان بين أولياء الرحمن، وأولياء الشيطان**». وهو الذي بين أيدينا.

٧ – «**العقيدة الواسطية**».

٨ – «**الفرقان بين الحق والباطل**».

سادسا: وفاته:

ابتلي رحمه الله في آخر عهده فاعتقل في قلعة دمشق من شعبان سنة «**٧٢٦ هـ**» إلى ذي القعدة سنة «**٧٢٨ هـ**»، ثم مرض بضعة وعشرين، ولم يعلم أكثر الناس بمرضه، ولم يفجأهم إلا موته، وكان مشهد تشييعه إلى المقر الأخير من الدنيا أمرا عظيما، فقد تزاحم الناس على جنازته، وعلت الأصوات بالبكاء، والدعاء له، ويذكر ابن كثير، فيما قال في وصف جنازته وكثرة مشيعها: أنه لم يتخلف عن الحضور إلا من لم يستطع إلى ذلك سبيلا، وحضرت نساء كثيرات بحيث حرزن بخمسة آلاف غير اللاتي كن على الأسطحة وغيرهن، وأما الرجال فحزروا بستين ألفا، إلى مائة ألف، إلى أكثر من ذلك، إلى مائتي ألف.

يقول الشيخ زين الدين عمر بن الوردي:

عثا في عرضه سلاط ... لهم من نثر جوهره التقاط

تقي الدين أحمد خير حبر ... خروق المعضلات به تخاط

توفي وهو محبوس فريد ... وليس له إلى الدنيا انبساط

ولــو حضروا حين قضي لألفوا ملائكــة النعــيم بــه أحاطــوا
فــتى في علمــه أضــحى فريدا وحــل المشــكلات بــه يــناط

ورثاه ابن فضل الله العمري بقصيدة طويلة، فمنها:

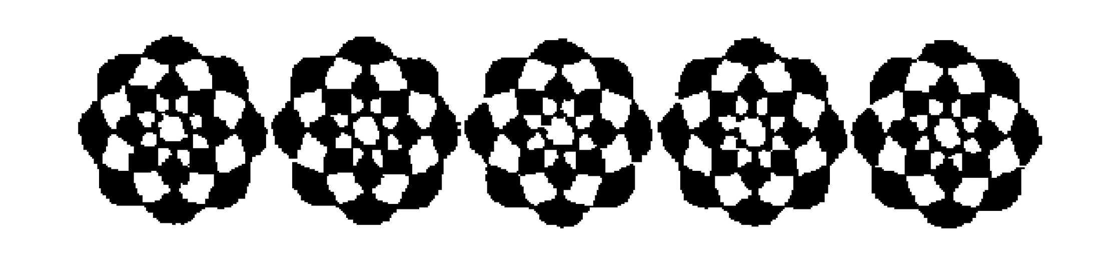
مــثل ابــن تيمية في السجن معتقل والســجن كالغمــد وهو الصارم الذكر
مــثل ابــن تيمــية تــذري شمائله ولــيس يلقــط مــن أفــنانه الزهــر
مــثل ابن تيمية شمس تغيب سدى ومــا تــرق بهــا الآصــال والبكــر
مــثل ابــن تيمية يمضي وما عبقت بمســكه العاطــر الأردان والطــرز

رحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية، وأسكنه في جنة الخلد، مع الذين أنعم الله عليهم، من النبيين والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

ونسأله العون والتوفيق والسداد في كل حال.

أبو مريم/ مجدي فتحي السيد



مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا. من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا، أرسله بين يدي الساعة بشيرا ونذيرا، وداعيا إلي الله بإذنه وسراجا منيرا. فهدى به من الضلالة، وبصر به من العمى، وأرشد به من الغي، وفتح به أعينا عميا، وآذانا صما، وقلوبا غلفا. وفرق به بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والرشاد والغي، والمؤمنين والكفار، والسعداء أهل الجنة والأشقياء أهل النار، وبين أولياء الله وأعداء الله. فمن شهد له محمد ﷺ بأنه من أولياء الله فهو من أولياء الرحمن، ومن شهد له بأنه من أعداء الله فهو من أولياء الشيطان.

القرآن وأولياء الرحمن

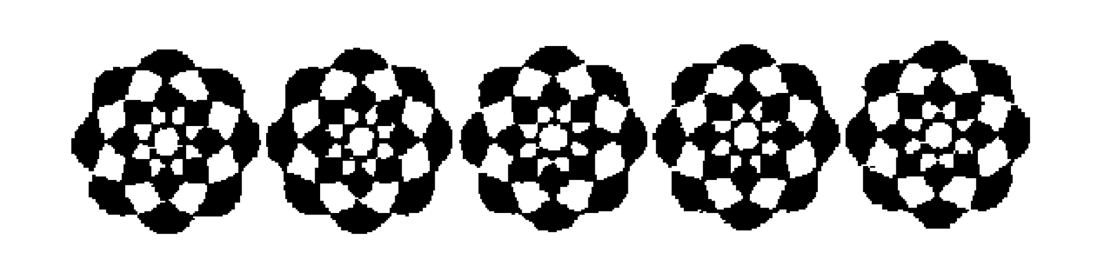
وقد بين سبحانه وتعالى في كتابه وسنة رسوله ﷺ أن لله أولياء من الناس، وللشيطان أولياء، ففرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان. فقال تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يونس: ٦٢ – ٦٤]، وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ

كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [المائدة: ٥١ — ٥٦]، وقال تعالى: ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الكهف: ٤٤].

القرآن وأولياء الشيطان

وذكر أولياء الشيطان فقال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٨ — ١٠٠]، وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾ [النساء: ٧٦]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ

لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلاً ﴿٥٠﴾ ﴾ [الكهف: ٥٠]. وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ ﴾ [النساء: ١١٩]، وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٣ — ١٧٥]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٧ — ٣٠]، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وقال الخليل عليه السلام: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ ﴾ [مريم: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ الآيات إلى قوله: ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ [الممتحنة: ١ — ٥].



فصل في وجوب التفريق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

وإذا عرف أن الناس فيهم منهم أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، فيجب أن يفرق بين هؤلاء وهؤلاء، كما فرق الله ورسوله بينهما.

فأولياء الله هم المؤمنون المتقون، كما قال تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣]، وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**يقول الله من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة – أو – فقد آذنته بالحرب. وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها. ورجله التي يمشي بها. فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه. وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته، ولا بد له منه**»[1].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٠٢)، وابن ماجه (٣٩٨٩)، وابن حبان (٣٤٧)، والبيهقي في السنن (٣/ ٣٤٦)، وفي الأسماء والصفات (٤٩٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٤)، والبغوي في «شرح السنة» (١٢٤٩)، وقال البغوي في «شرح السنة» (٥/ ٢٠): قوله: كنت سمعه الذي يسمع به: سئل أبو عثمان الحيري عن هذا الخبر. فقال كنت أسرع إلى قضاء حوائجه من سمعه في الاستماع وبصره في النظر ويدهِ في اللمس ورجله في المشي.

وقال أبو سليمان الخطابي: هذه أمثال ضربها، والمعنى والله أعلم توفيقه في الأعمال التي يباشرها بهذه الأعضاء يعني بيسر عليه فيها سبيل ما يحبه ويعصمه عن مواقعه ما يكره من إصغاء إلى اللغو بسمعه، ونظر إلى ما نهى عنه ببصره، وبطش ما لا يحل بيده، وسعى في الباطل، وقد يكون معناه سرعة إجابة الدعاء والإنجاح في الطلب

وبهذا أصح حديث يروى في الأولياء، فبين النبي ﷺ أنه من عادى وليا لله فقد بارز الله بالمحاربة. وفي حديث آخر: «**وإني لأثأر لأوليائي كما يثأر الليث الحرب**» [(١)]، أي آخذ ثأرهم ممن عاداهم كما يأخذ الليث الحرب ثأره.

وهذا لأن أولياء الله هم الذين آمنوا به ووالوه، فأحبوا ما يحب، وأبغضوا ما يبغض ورضوا بما يرضى، وسخطوا ما يسخط، وأمروا بما يأمر، ونهوا عما نهى، وأعطوا لمن يحب أن يعطى، ومنعوا من يحب أن يمنع، كما في الترمذي وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: «**أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله**» [(٢)].

وفي حديث آخر رواه أبو داود قال: «**ومن أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله ومنع لله، فقد استكمل الإيمان**» [(٣)].

والولاية ضد العداوة وأصل الولاية المحبة والقرب، وأصل العداوة البغض والبعد، وقد قيل: إن الولي سمي وليا من موالاته للطاعات أي متابعته لها، والأول أصح، والولي القريب فيقال: هذا يلي هذا أي يقرب منه ومنه قوله ﷺ: «**ألحقوا الفرائض بأهلها، فما أبقت الفرائض فلأولى رجل ذكر**» [(٤)]، أي لأقرب رجل

= وذلك أن مساعي الإنسان إنما تكون بهذه الجوارح الأربع.

(١) **ضعيف**: أخرجه البغوي في «شرح السنة» (٥/ ٢٢)، وأورده الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٧٠)، وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه عمر بن سعيد أبو حفص الدمشقي وهو ضعيف. والمعنى أنه لا يهدأ حتى يأخذ بثأره.

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (٨٤٣٣)، وابن أبي شيبة (١٠٤٦٩)، والحاكم (٢/ ٤٨٠)، والطبراني (١١٥٣٧)، والطيالسي (٣٧٨)، وأورده الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٥٣٩)، وقال صحيح.

(٣) **حسن**: أخرجه أحمد (٢٢٠٢٩)، وأبو داود (٤٦٨١)، والترمذي (٢٥٢١)، والطبراني (٧٦١٣)، وابن عساكر (٩٢/ ٢٢٦)، وابن عدي في الضعفاء (٦/ ٢٣١٥)، والبغوي «شرح السنة» (١/ ٣٩)، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٣٨٠).

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٧٤٢)، ومسلم (١٦١٥)، وأحمد (٢٦٥٧)، وأبو داود (٢٨٩٨)، والترمذي (٢٠٩٨)، وابن ماجه (٢٧٤٠)، والدارمي (٢٩٨٦)، والدارقطني (٤/ ٧١)، والبيهقي (٦/ ٢٣٨)، ومعنى الفرائض: الأنصباء المقدرة في =

إلى الميت ووكده بلفظ الذكر ليبين أنه حكم يختص بالذكور ولا يشترك فيه الذكور والإناث، كما قال في الزكاة: «**فابن لبون ذكر**»[(١)]. فإذا كان ولي الله هو الموافق المتابع له فيما يحبه ويرضاه ويبغضه ويسخطه ويأمر به وينهى عنه كان المعادي لوليه معاديا له كما قال تعالى: ﴿ لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴾ [الممتحنة: ١]، فمن عادى أولياء الله فقد عاداه، ومن عاداه فقد حاربه، فلهذا قال: «**من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة**»[(٢)].

الأنبياء أولياء الله

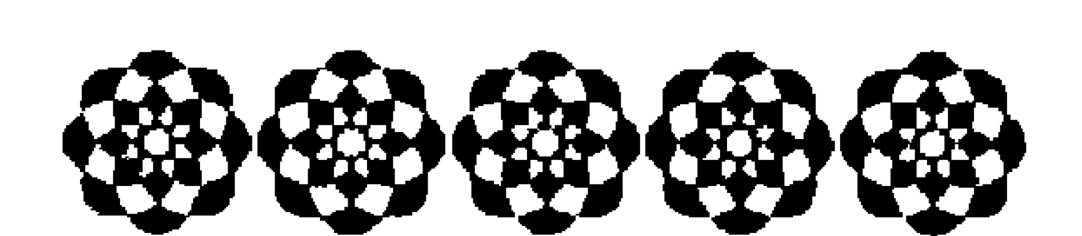
وأفضل أولياء الله هم أنبياؤه، وأفضل أنبيائه هم المرسلون منهم، وأفضل المرسلين أولو العزم: «**نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد ﷺ**»، قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ ﴾ [الشورى: ١٣]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧، ٨]، وأفضل أولي العزم محمد ﷺ خاتم النبيين وإمام المتقين وسيد ولد آدم، وإمام الأنبياء إذا اجتمعوا وخطيبهم إذا وفدوا، صاحب المقام المحمود الذي يغبطه

= كتاب الله تعالى وهي النصف ونصفه ونصف نصفه والثلثان، ونصفهما، ونصف نصفهما، والمراد بأهلها: من يستحق بنص القرآن: انظر الفتح (١٢ - ١٥) دار الحديث.

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٤٤٨)، وأحمد (٧٢)، والنسائي (٢٢٢٩)، وابن ماجه (١٧٩٩)، والحاكم (١/ ٣٩٠)، والدارقطني (٢/ ١١٣)، والبيهقي (٤/ ٨٦)، ومعنى ابن لبون: ولد الناقة إذا استكمل السنة الثانية ودخل في الثالثة، مختار الصحاح (ص ٣١٩).

(٢) سبق تخريجه (ص ١٥).

به الأولون والآخرون، وصاحب لواء الحمد، وصاحب الحوض المورود، وشفيع الخلائق يوم القيامة، وصاحب الوسيلة والفضيلة، الذي بعثه بأفضل كتبه، وشرع له أفضل شرائع دينه، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس، وجمع له ولأمته من الفضائل والمحاسن ما فرقه فيمن قبلهم، وهم آخر الأمم خلقا، وأول الأمم بعثا، كما قال ﷺ في الحديث الصحيح: «**نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم، فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه** – يعني يوم الجمعة – **فهدانا الله له، الناس لنا تبع فيه، غدا لليهود وبعد غد للنصارى**»(١). وقال ﷺ: «**أنا أول من تنشق عنه الأرض**»(٢). وقال ﷺ: «**آتي باب الجنة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: أنا محمد. فيقول: بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك**»(٣). وفضائله ﷺ وفضائل أمته كثيرة، ومن حين بعثه الله جعله الله الفارق بين أوليائه وبين أعدائه، فلا يكون وليا لله إلا من آمن به وبما جاء به واتبعه باطنا وظاهرا، ومن ادعى محبة الله وولايته وهو لم يتبعه فليس من أولياء الله، بل من خالفه كان من أعداء الله وأولياء الشيطان، قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ** ﴾ [آل عمران: ٣١].



---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٨٧٦)، ومسلم (٨٥٥)، وأحمد (٧٣٩٣)، والنسائي (١٦٥٣)، وابن خزيمة (١٧٢٠)، والدارقطني (٢/ ٣)، والبيهقي (٣/ ١٧٠)، والبغوي في «شرح السنة» (١٠٤٥).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٢٧٨)، وأحمد (٤/ ١٠٩)، وأبو داود (٤٦٧٣)، والحاكم (٢/ ٤٦٥)، وأورده ابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٨٧٠).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٣٣)، وأحمد (٣/ ١٣٦)، والبغوي في «شرح السنة» (٤٣٣٩).

من ادعى محبة الله ولم يتبع الرسول ﷺ فليس من أولياء الله

قال الحسن البصري رحمه الله[1]: ادعى قوم أنهم يحبون الله، فأنزل الله هذه الآية محنة لهم[2]. وقد بين الله فيها أن من اتبع الرسول فإن الله يحبه، ومن ادعى محبة الله ولم يتبع الرسول ﷺ فليس من أولياء الله وإن كان كثير من الناس يظنون في أنفسهم أو في غيرهم أنهم من أولياء الله، ولا يكونون من أولياء الله، فاليهود والنصارى يدعون أنهم أولياء الله وأنه لا يدخل الجنة إلا من كان منهم بل يدعون أنهم أبناؤه وأحباؤه، قال تعالى: ﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ﴾ الآية [المائدة: ١٨]، وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ١١١ - ١١٢]، وكان مشركو العرب يدعون أنهم أهل الله لسكناهم مكة ومجاورتهم البيت، وكانوا يستكبرون به على غيرهم، كما قال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ۝ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٦٦، ٦٧]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٠ - ٣٤]، فبين سبحانه أن المشركين ليسوا أولياءه ولا أولياء بيته، إنما أولياؤه المتقون. وثبت في الصحيحين عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول جهارا من غير سر: «**إن آل فلان ليسوا لي بأولياء** - يعني طائفة من أقاربه - **إنما وليي**

---

(١) **الحسن البصري**: هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري سئل مرة أنس بن مالك: عن مسألة فقال سلوا عنها مولانا الحسن، وكان أبو جعفر إذا ذكره يقول ذاك الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء، مات سنة (١١٠ هـ) انظر البداية (٩/ ٢٧٣).

(٢) **إسناده مرسل**: أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٣/ ٢٣٢).

الله وصالح المؤمنين»[(١)]، وهذا موافق لقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الآية [التحريم: ٤]، وصالح المؤمنين هو من كان صالحا من المؤمنين.

أهل بيعة الرضوان كلهم في الجنة

وهم المؤمنون المتقون أولياء الله، ودخل في ذلك أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر أهل بيعة الرضوان الذين بايعوا تحت الشجرة وكانوا ألفا وأربعمائة، وكلهم في الجنة كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة**»[(٢)]. ومثل هذا الحديث الآخر: «**إن أوليائي المتقون أيا كانوا وحيث كانوا**»[(٣)].

الكفار والمنافقون أعداء الإسلام

وكما أن من الكفار من يدعي أنه ولي الله وليس وليا لله بل عدو له، فكذلك من المنافقين الذين يظهرون الإسلام ويقرون في الظاهر بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأنه مرسل إلى جميع الإنس بل الثقلين الإنس والجن، ويعتقدون في الباطن ما يناقض ذلك، مثل أن لا يقروا في الباطن بأنه رسول الله،

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٩٨٩)، ومسلم (٣٦٦)، وأحمد (٤/ ٢٠٣).
(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٤٩٦)، وأحمد (١٤٧١٤)، وأبو داود (٤٦٥٣)، والترمذي (٣٨٦٠)، وابن ماجه (٤٢٨١)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٩٩٤).
(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٥)، والبخاري في الأدب المفرد (٨٩٧)، وابن حبان (٢٥٠٤) موارد، وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٩٣)، ورواه الألباني في صحيح الجامع (٢٠١٢).

وإنما كان ملكا مطاعا ساس الناس برأيه من جنس غيره من الملوك، أو يقولون أنه رسول الله إلى الأميين دون أهل الكتاب كما يقوله كثير من اليهود والنصارى، وأنه مرسل إلى عامة الخلق، وأن لله أولياء خاصة لم يرسل إليهم ولا يحتاجون إليه بل لهم طريق إلى الله من غير جهته كما كان الخضر مع موسى أو أنهم يأخذون عن الله كل ما يحتاجون إليه وينتفعون به من غير واسطة، أو أنه مرسل بالشرائع الظاهرة وهم موافقون له فيها، وأما الحقائق الباطنة فلم يرسل بها أو لم يكن يعرفها أو هم أعرف بها منه، أو يعرفونها مثل ما يعرفها من غير طريقته.

حقيقة أهل الصفة

وقد يقول بعض هؤلاء إن أهل الصفة كانوا مستغنين عنه و لم يرسل إليهم. ومنهم من يقول إن الله أوحى إلى أهل الصفة في الباطن ما أوحى إليه ليلة المعراج، فصار أهل الصفة بمنزلته، وهؤلاء من فرط جهلهم لا يعلمون أن الإسراء كان بمكة كما قال تعالى: ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ [الإسراء: ١]، وإن الصفة لم تكن إلا بالمدينة، وكانت صفة في شمالي مسجده ﷺ ينزل بها الغرباء الذين ليس لهم أهل وأصحاب ينزلون عندهم، فإن المؤمنين كانوا يهاجرون إلى النبي ﷺ إلى المدينة فمن أمكنه أن ينزل في مكان نزل به، ومن تعذر ذلك عليه نزل في المسجد إلى أن ينيسر له مكان ينتقل إليه، و لم يكن أهل الصفة ناسا بأعيانهم يلازمون الصفة، بل كانوا يقلون تارة ويكثرون أخرى ويقيم الرجل بها زمانا ثم ينتقل منها، والذين ينزلون بها هم من جنس سائر المسلمين ليس لهم مزية في علم ولا دين، بل فيهم من ارتد عن الإسلام وقتله النبي ﷺ، كالعرنيين الذين اجتووا المدينة أي استوخموها، فأمر لهم النبي ﷺ بلقاح — أي إبل لها لبن — وأمرهم أن يشربوا من أبوالها وألبانها، فلما صحوا قتلوا الراعي واستاقوا الذود، فأرسل النبي ﷺ في طلبهم فأتى بهم، فأمر بقطع أيديهم وأرجلهم وسمرت أعينهم وتركهم في الحرة يستسقون فلا يسقون، وحديثهم في

الصحيحين من حديث أنس[1]، وفيه أهم نزلوا الصفة فكان ينزلها مثل هؤلاء، ونزلها من خيار المسلمين سعد بن أبي وقاص وهو أفضل من نزل بالصفة ثم انتقل عنها، ونزلها أبو هريرة وغيره، وقد جمع أبو عبد الرحمن السلمي «**تاريخ من نزل الصفة**».

وأما الأنصار فلم يكونوا من أهل الصفة، وكذلك أكابر المهاجرين كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وأبي عبيدة بن الجراح وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين لم يكونوا من أهل الصفة.

حديث موضوع

وقد روى أنه كان بها غلام للمغيرة بن شعبة، وأن النبي ﷺ قال: «**هذا واحد من السبعة**»[2]، وهذا الحديث كذب باتفاق أهل العلم، وإن كان قد رواه أبو نعيم في «**الحلية**»، وكذا كل حديث يروى عن النبي ﷺ في عدة الأولياء والأبدال والنقباء والنجباء والأوتاد والأقطاب مثل أربعة أو سبعة أو اثني عشر أو أربعين أو سبعين أو ثلاثمائة أو ثلاثمائة وثلاثة عشر أو القطب الواحد، فليس في ذلك شيء صحيح عن النبي ﷺ ولم ينطق السلف بشيء من هذه الألفاظ إلا بلفظ «**الأبدال**»، وروى فيه حديث أنهم أربعون رجلا وأنهم بالشام، وهو في المسند من حديث علي كرم الله وجهه، وهو حديث منقطع ليس بثابت[3]، ومعلوم أن عليا ومن معه من الصحابة كانوا أفضل من معاوية ومن معه

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٥٠١)، ومسلم (١٦٧١)، وأبو داود (٤٣٦٩)، والنسائي (٤٠٤٦)، وابن عساكر (٣٨/ ١٦٩).

(٢) **موضوع**.

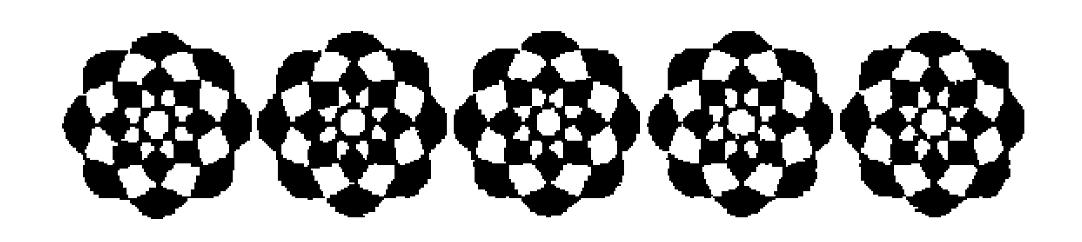
(٣) **ضعيف**: أخرجه أحمد (٨٩٦). قال الشيخ أحمد شاكر عن إسناد هذا الحديث: ضعيف لانقطاعه قال الإمام السخاوي في المقاصد (ص ٣٢): حديث الأبدال له طرق عن أنس رضي الله عنه مرفوعا بألفاظ مختلفة كلها ضعيفة. اهـ ويقول ابن القيم رحمه

بالشام، فلا يكون أفضل الناس في عسكر معاوية دون عسكر علي، وقد أخرجا في الصحيحين عن أبي سعيد عن النبي ﷺ أنه قال: «**تمرق مارقة من الدين على حين فرقة من المسلمين يقتلهم أولى الطائفتين بالحق**»[(١)]، وهؤلاء المارقون هم الخوارج الحرورية الذين مرقوا لما حصلت الفرقة بين المسلمين في خلافة علي فقتلهم علي بن أبي طالب وأصحابه، فدل هذا الحديث الصحيح على أن علي بن أبي طالب أولى بالحق من معاوية وأصحابه. وكيف يكون الأبدال في أدنى العسكرين دون أعلاهما؟ وكذلك ما يرويه بعضهم عن النبي ﷺ أنه أنشد منشد:

قد لسعت حية الهوى كبدي ... فلا طبيب لها ولا راق

إلا الحبيب الذي شغفت به ... فعنده رقيتي وترياقي

وإن النبي ﷺ تواجد حتى سقطت البردة عن منكبيه، فإنه كذب باتفاق أهل العلم والحديث[(٢)].



= الله في المنار المنيف (ص ١٣٦): ومن ذلك أحاديث الأبدال والأقطاب والأغوات والنقباء والنجباء والأوتاد كلها باطلة على رسول الله. وقال الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة (٣/ ٦٧) فائدة: نقلت أكثر أسانيد الأحاديث المتقدمة من رسالة السيوطي الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد، والنجباء، والأبدال وقد حشاها بالأحاديث الضعيفة والآثار الواهية وبعضها أشد ضعفا من بعض كما يدل هذا التخريج. وأورده ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (٢/ ٣٠٧).

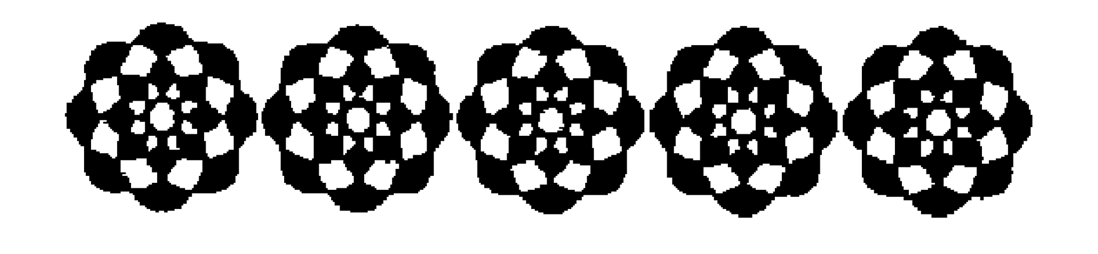
(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦١٦٣)، ومسلم (١٠٦٦)، وأحمد (٣٥٩٦)، والترمذي (٢١٨٨)، وابن ماجه (١٦٨).

(٢) **باطل**: ذكره ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (٢/ ٢٣٣)، وقال: باطل، وقال القدسي: إن الواقف عليه يظهر له أنه موضوع لركة ألفاظه ومباينة شعره لأشعار العرب في جذالة ألفاظها، وقال النووي: باطل لا تحل روايته ولا نسبته إلى النبي ﷺ.

حديث موضوع

وأكذب منه ما يرويه بعضهم أنه مزق ثوبه وأن جبريل أخذ قطعة منه فعلقها على العرش[١]، فهذا وأمثاله مما يعرف أهل العلم والمعرفة برسول الله ﷺ أنه من أظهر الأحاديث كذبا عليه ﷺ، وكذلك ما يروونه عن عمر ﷺ أنه قال: «كان النبي ﷺ وأبو بكر يتحدثان، وكنت بينهما كالزنجي»[٢]، وهو كذب موضوع باتفاق أهل العلم والحديث.

والمقصود هنا أن فيمن يقر برسالته العامة في الظاهر من يعتقد في الباطن ما يناقض ذلك، فيكون منافقا وهو يدعي في نفسه وأمثاله أنهم أولياء الله مع كفرهم في الباطن بما جاء به الرسول ﷺ إما عنادا وإما جهلا، كما أن كثيرا من النصارى واليهود يعتقدون أنهم أولياء الله وأن محمدا رسول الله ولكن يقولون إنما أرسل إلي غير أهل الكتاب، وإنه لا يجب علينا اتباعه لأن الله أرسل إلينا رسلا قبله، فهؤلاء كلهم كفار مع أنهم يعتقدون في طائفتهم أنهم أولياء الله، وإنما أولياء الله الذين وصفهم الله تعالى بولايته بقول: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣].



(١) **موضوع**: أورده ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (٢/ ٢٣٣)، وقال: موضوع.

(٢) **موضوع**: قاله ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (١/ ٤٠٧)، وقال ابن تيمية: موضوع.

قلت: فائدة: القائل ابن عراق، قال الذهبي في «تلخيص الموضوعات».

حقيقة الإيمان

ولابد في الإيمان من أن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويؤمن بكل رسول أرسله الله، وكل كتاب أنزله الله، كما قال تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ (١٣٦) فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ (١٣٧) ﴾ [البقرة: ١٣٦، ١٣٧]، وقال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ إلى آخر السورة [البقرة: ٢٨٥، ٢٨٦]، وقال في أول السورة [أي أول سورة البقرة]: ﴿ الٓمٓ (١) ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ (٢) ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ (٣) وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ (٤) أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ (٥) ﴾ [البقرة: ١ — ٥].

فلا بد في الإيمان من أن نؤمن أن محمدا ﷺ خاتم النبيين لا نبي بعده، وأن الله أرسله إلى جميع الثقلين الجن والإنس، فكل من لم يؤمن بما جاء به فليس بمؤمن فضلا عن أن يكون من أولياء الله المتقين ومن آمن ببعض ما جاء به وكفر ببعض فهو كافر ليس بمؤمن، كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا (١٥١) وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا (١٥٢) ﴾ [النساء: ١٥٠ — ١٥٢].

ومن الإيمان به: الإيمان بأنه هو الواسطة بين الله وبين خلقه في تبليغ أمره ونهيه ووعده ووعيده وحلاله وحرامه، فالحلال ما أحله الله ورسوله، والحرام ما حرمه الله ورسوله، والدين ما شرعه الله ورسوله ﷺ ، فمن اعتقد أن لأحد من الأولياء طريقا إلى الله من غير متابعة محمد ﷺ فهو كافر من أولياء الشيطان.

وأما خلق الله تعالى للخلق ورزقه إياهم وإجابته لدعائهم وهدايته لقلوبهم ونصرهم على أعدائهم وغير ذلك من جلب المنافع ودفع المضار فهذا لله وحده، يفعله بما يشاء من الأسباب، لا يدخل في مثل هذا وساطة الرسل.

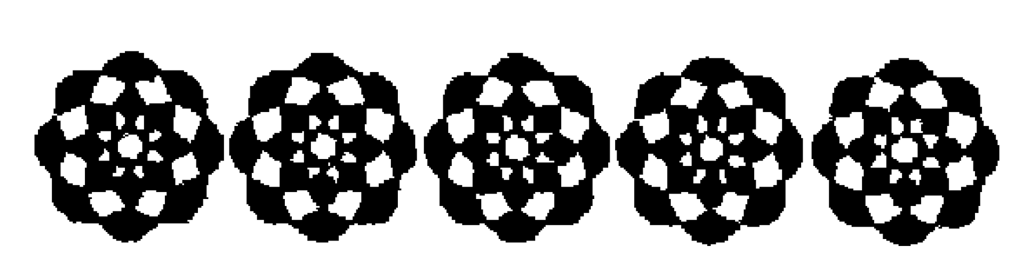
أنواع من الشرك

ثم ولو بلغ الرجل في الزهد والعبادة والعلم ما بلغ و لم يؤمن بجميع ما جاء به محمد ﷺ فليس بمؤمن ولا ولي لله تعالى، كالأحبار والرهبان من علماء اليهود والنصارى وعبادهم، وكذلك المتنسبون إلى العلم والعبادة من المشركين — مشركي العرب والترك والهند وغيرهم ممن كان من حكماء الهند والترك — وله علم أو زهد وعبادة في دينه وليس مؤمنا بجميع ما جاء به ﷺ فهو كافر عدو لله، وإن ظن طائفة أنه ولي لله، كما كان حكماء الفرس من المجوس كفارا مجوسا.

وكذلك حكماء اليونان — مثل أرسطو أمثاله — كانوا مشركين يعبدون الأصنام والكواكب، وكان أرسطو قبل المسيح عليه السلام بثلاثمائة سنة وكان وزيرا للإسكندر بن فيلبس المقدوني، وهو الذي تؤرخ به تواريخ الروم واليونان وتؤرخ به اليهود والنصارى، وليس هذا هو ذو القرنين الذي ذكره الله في كتابه كما يظن بعض الناس أن أرسطو كان وزيرا لذي القرنين لما رأوا أن ذاك اسمه الإسكندر وهذا قد يسمى الإسكندر ظنوا أن هذا ذاك كما يظنه ابن سينا وطائفة معه، وليس الأمر كذلك بل هذا الإسكندر المشرك الذي قد كان أرسطو وزيره متأخرا عن ذاك، و لم يبن هذا السد ولا وصل إلى بلاد يأجوج ومأجوج، وهذا

الإسكندر الذي كان أرسطو من وزرائه يؤرخ له تاريخ الروم المعروف.

وفي أصناف المشركين من مشركي العرب ومشركي الهند والترك واليونان وغيرهم من له اجتهاد في العلم والزهد والعبادة، ولكن ليس بمتبع للرسل ولا مؤمن بما جاءوا به ولا يصدقهم بما أخبروا به ولا يطيعهم فيما أمروا، فهؤلاء ليسوا بمؤمنين ولا أولياء لله، وهؤلاء تقترن بهم الشياطين وتنزل عليهم فيكاشفون الناس ببعض الأمور، ولهم تصرفات خارقة من جنس السحر، وهم من جنس الكهان والسحرة الذين تنزل عليهم الشياطين، قال الله تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾ [الشعراء: ٢٢١ – ٢٢٣]، وهؤلاء جميعهم الذين ينتسبون إلى المكاشفات وخوارق العادات إذا لم يكونوا متبعين للرسل فلابد أن يكذبوا وتكذبهم شياطينهم، ولابد أن يكون في أعمالهم ما هو إثم وفجور مثل نوع من الشرك أو الظلم أو الفواحش [أو الغلو أو البدع في العبادة]، ولهذا تنزلت عليهم الشياطين واقترنت بهم فصاروا من أولياء الشيطان، لا من أولياء الرحمن. قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الزخرف: ٣٦]. و﴿ ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ هو الذكر الذي بعث به رسوله ﷺ مثل القرآن، فمن لم يؤمن بالقرآن ويصدق خبره ويعتقد وجوب أمره فقد أعرض عنه فيقيض له الشيطان فيقترن به، قال تعالى: ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ [الأنبياء: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه: ١٢٤ – ١٢٦]، فدل ذلك على أن ذكره هو آياته التي أنزلها، ولهذا لو ذكر الرجل الله ﷻ دائما ليلا ونهارا مع غاية الزهد وعبده مجتهدا في عبادته ولم يكن متبعا لذكره الذي أنزله – وهو القرآن – كان من أولياء الشيطان، ولو طار في الهواء أو مشى على الماء، فإن الشيطان يحمله في الهواء. وهذا مبسوط في غير هذا الموضع.



فصل في علامات النفاق

ومن الناس من يكون فيه إيمان، وفيه شعبة من نفاق، كما جاء في الصحيحين عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان، وإذا عاهد غدر**»[1]. وفي الصحيحين أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**الإيمان بضع وستون – أو بضع وسبعون – شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»[2]، فبين النبي ﷺ أن من كان فيه خصلة من هذه الخصال ففيه خصلة من النفاق حتى يدعها.

وقد ثبت عنه في الصحيحين أنه قال لأبي ذر وهو من خيار المؤمنين: «**إنك**

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٤)، ومسلم (١٠٦)، وأحمد (٦٧٦٨)، وأبو عوانة (٤٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٢٠٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٧/ ٣٩٦)، والبيهقي (٩/ ٢٣٠)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٧)، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق» بتحقيق شيخنا الفاضل مجدي فتحي السيد برقم (١٤٦).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٩)، وفي الأدب المفرد (٥٩٨)، ومسلم (٥٨)، وأحمد (٢/ ٣٧٩)، وابن أبي شيبة (١٠٤٦٥)، وأبو داود (٤٦٧٦)، والترمذي (٢٦١٤)، والنسائي (١١٧٣٦)، وابن ماجه (٥٧)، والطيالسي (٢٤٠٢)، والبغوي في «شرح السنة» (١٧).

والإيمان معناه في اللغة: الإقرار بالشيء عن تصديق به بدليل أنك تقول آمنت بكذا وأقررت بكذا وصدقت فلانا ولا تقول آمنت فلانا انظر شرح «العقيدة الواسطية» للشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله (ص ٣١).

وشرعا: الإيمان قول وعمل قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح ويزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ويتضائل أصله فيه. انظر «أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة» للشيخ حافظ بن أحمد حكمي (ص٣١).

امرؤ فيه جاهلية». فقال: يا رسول الله أعلى كبر سني؟ قال: «**نعم**»[1]. وثبت في الصحيح عنه أنه قال: «**أربع في أمتي من أمر الجاهلية: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والنياحة على الميت، والاستسقاء بالنجوم**»[2]، وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان**»[3]. وفي صحيح مسلم: «**وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم**»، وذكر البخاري: عن ابن أبي مليكة قال: «أدركت ثلاثين من أصحاب محمدا كلهم يخاف النفاق على نفسه»[4]، وقد قال الله تعالى: ﴿ **وَمَآ أَصَـٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ ۖ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَـٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَـٰنِ** ﴾ [آل عمران: ١٦٦، ١٦٧]، فقد جعل هؤلاء إلى الكفر أقرب منهم للإيمان، فعلم أنهم مخلطون وكفرهم أقوى. وغيرهم يكون مخلصا وإيمانه أقوى.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٥٤٥)، ومسلم (١٦٦١)، وأحمد (٥/ ١٦١)، وأبو داود (٥١٥٧)، والترمذي (٢٨٧١)، وابن ماجه (٣٦٩٠)، والبغوي في «شرح السنة» (٩/ ٣٣٩). والمعنى: أي فيك خلق من أخلاق الجاهلية «شرح صحيح مسلم» للنووي (٤/ ٢٩١).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٩٣٤)، وأحمد (٧٨٩٥)، وعبد الرزاق (٦٦٨٦)، والترمذي (١٠٠١)، وابن ماجه (١٥٨١)، وابن حبان (٣١٤٣)، والحاكم (١/ ٣٨٣)، والطبراني (٣٤٢٥)، والطيالسي (٢٣٩٥)، والبيهقي في السنن (٤/ ٦٣)، والبغوي في «شرح السنة» (١٥٣٤).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٣)، ومسلم (١٠٧)، وأحمد (٢/ ٣٥٧)، والترمذي (٢٦٣١)، والنسائي (٥٠٢١)، والبيهقي في السنن (٦/ ٢٨٨)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٦)، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق بتحقيق شيخنا الفاضل مجدي فتحي السيد حفظه الله تعالى برقم (١٤٢)، وابن أبي الدنيا في الصمت وعزاه الهندي (٨٥٥)، في كنز العمال إلى رسته في الإيمان ولأبي الشيخ في التوبيخ: الآية: العلامة «مختار الصحاح» (ص ٣١)، المنافق: قال ابن جريج: المنافق يخالف قوله فعله وسره علانيته ومدخله مخرجه ومشهده مغيبه «تفسير ابن كثير» (١/ ٤٧).

(٤) **صحيح**: ذكره البخاري عن أبي مليكة في ترجمته لباب (٣٦) من كتاب الإيمان.

وإذا كان أولياء الله هم المؤمنون المتقون فبحسب إيمان العبد وتقواه تكون ولايته لله تعالى، فمن كان أكمل إيمانا وتقوي كان أكمل ولاية لله، فالناس متفاضلون في ولاية الله ﷻ بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى، وكذلك يتفاضلون في عداوة الله بحسب تفاضلهم في الكفر والنفاق، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾ [التوبة: ٣٧]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾ [محمد: ١٧]، وقال تعالى في المنافقين: ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾[البقرة: ١٠]، فبين ﷻ أن الشخص الواحد قد يكون فيه قسط من ولاية الله بحسب إيمانه، وقد يكون فيه قسط من عداوة الله بحسب كفره ونفاقه، وقال تعالى: ﴿ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ﴾ [المدثر: ٣١]، وقال تعالى: ﴿ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ [الفتح: ٤].

فصل في أن أولياء الله على طبقتين
[أولياء الله في القرآن]

وأولياء الله على طبقتين: سابقون مقربون، وأصحاب يمين مقتصدون ذكرهم الله في عدة مواضع في كتابه العزيز: في أول سورة الواقعة وآخرها، وفي سورة الإنسان، والمطففين، وفي سورة فاطر، فإنه ﷻ ذكر في الواقعة القيامة الكبرى في أولها، وذكر القيامة الصغرى في آخرها، فقال في أولها: ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾

وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الواقعة: ١- ١٤]، فهذا تقسيم الناس إذا قامت القيامة الكبرى التي يجمع الله فيها الأولين والآخرين كما وصف الله سبحانه ذلك في كتابه في غير موضع، ثم قال تعالى في آخر السورة: ﴿ فَلَوْلَا ﴾ أي فهلا ﴿ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الواقعة: ٨٣ – ٩٦]. وقال تعالى في سورة الإنسان: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ الآيات [الإنسان: ٣ – ١٢]، وكذلك ذكر في سورة المطففين فقال: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ

وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [المطففين: ٧ – ٢٨].

فعن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من السلف قالوا: يمزج لأصحاب اليمين مزجا، ويشرب بها المقربون صرفا، وهو كما قالوا، فإنه تعالى قال: ﴿ يَشْرَبُ بِهَا ﴾ ولم يقل يشرب منها لأنه ضمن ذلك قوله: ﴿ يَشْرَبُ ﴾ يعني يروى بها، فإن الشارب قد يشرب ولا يروى، فإذا قيل يشربون منها لم يدل على الري، فإذا قيل يشربون بها كان المعنى يروون بها، فالمقربون يروون بها فلا يحتاجون معها إلى ما دونها، فلهذا يشربون منها صرفا، بخلاف أصحاب اليمين فإنها مزجت لهم مزجا، وهو كما قال تعالى في سورة الإنسان: ﴿ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ ﴾ [الإنسان: ٥، ٦]، فعباد الله هم المقربون المذكورون في تلك السورة، وهذا لأن الجزاء من جنس العمل في الخير والشر، كما قال النبي ﷺ: «**من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغيشتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده. ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه**» رواه مسلم في صحيحه(١). وقال ﷺ: «**الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**»، قال الترمذي: حديث صحيح(٢). وفي الحديث

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٦٩٩)، وأحمد (٧٤٢١)، وابن أبي شيبة (٦٦١٨)، وأبو داود (٤٩٤٦)، والترمذي (١٤٢٥)، وابن ماجه (٢٢٥)، وابن حبان (٥٠٤٥)، والحاكم (٤/ ٣٨٣)، والبغوي في «شرح السنة» (١٢٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١١٩).

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢/ ١٦٠)، والحميدي (٥٩١)، وأبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤)، والحاكم (٤/ ١٥٩)، والبيهقي في السنن (٩/ ٤١)، وابن عساكر (٢٩/ ١٢)، وأورده الألباني في صحيح الجامع (٣٥٢٢).

الآخر الصحيح الذي في السنن يقول الله تعالى: «**أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها بتته**»[(١)]، وقال: «**ومن وصلها وصله الله، ومن قطعها قطعه الله**»[(٢)]، ومثل هذا كثير.

الأبرار المقربون

وأولياء الله تعالى على نوعين: مقربين، وأصحاب يمين كما تقدم. وقد ذكر النبي ﷺ عمل القسمين في حديث الأولياء فقال: يقول الله تعالى: «**من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، [فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها]**»[(٣)].
فالأبرار أصحاب اليمين هم المتقربون إليه بالفرائض، يفعلون ما أوجب الله عليهم، ويتركون ما حرم الله عليهم ولا يكلفون أنفسهم بالمندوبات، ولا الكف عن فضول المباحات. وأما السابقون المقربون فتقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض، ففعلوا الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات، فلما تقربوا إليه بجميع ما يقدرون عليه من محبوباتهم أحبهم الرب حبا تاما، كما قال تعالى: «**ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه**»، يعني الحب المطلق كقوله تعالى [في سورة الفاتحة]: ﴿ **ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝** ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧] أي أنعم

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٥٥)، وأحمد (١٦٦٢)، وأبو داود (١٦٩٤)، والترمذي (١٩٧٢)، وابن حبان (٢٠٣٣) موارد، والحاكم (٤/ ١٥٨)، والبيهقي في السنن (٧/ ٢٦)، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق» (٢٦٢).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٩٨٩)، ومسلم (٢٥٥٥)، وأحمد (٢٩٥٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٥٣٨)، والبزار في «كشف الأستار» (١١٨٣)، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق» (٢٨٣).

(٣) سبق تخريجه (ص ١٥).

عليهم الإنعام المطلق التام المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [النساء: ٦٩]، فهؤلاء المقربون صارت المباحات في حقهم طاعات يتقربون بها إلى الله ﷻ، فكانت أعمالهم كلها عبادات لله، فشربوا صرفا كما عملوا له صرفا، والمقتصدون كان في أعمالهم ما فعلوه لنفوسهم، فلا يعاقبون عليه ولا يثابون عليه، فلم يشربوا صرفا بل مزج لهم من شراب المقربين بحسب ما مزجوه في الدنيا.

النبوة نوعان

ونظير هذا انقسام الأنبياء عليهم السلام إلى عبد رسول ونبي ملك، وقد خير الله سبحانه محمدا ﷺ بين أين يكون عبدا رسولا وبين أن يكون نبيا ملكا فاختار أن يكون عبدا رسولا، فالنبي الملك مثل داود وسليمان ونحوهما عليهما الصلاة والسلام، قال الله تعالى في قصة سليمان الذي: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ ﴾ [ص: ٣٥ – ٣٩]، أي أعط من شئت واحرم من شئت، لا حساب عليك. فالنبي الملك يفعل ما فرض الله عليه، ويترك ما حرم الله عليه، ويتصرف في الولاية والمال بما يحبه ويختار من غير إثم عليه، وأما العبد الرسول فلا يعطي أحدا إلا بأمر ربه، ولا يعطي من يشاء ويحرم من يشاء، بل يعطي من أمره ربه بإعطائه، ويولي من أمره ربه بتوليته، فأعماله كلها عبادات لله تعالى، كما في صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**إني والله لا أعطي أحدا، ولا أمنع أحدا إنما أنا قاسم، أضع حيث أمرت**» [(١)]، ولهذا يضيف الله الأموال الشرعية

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣١١٧)، وأحمد (٢/ ٤٨٢).

إلى الله والرسول كقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [الأنفال: ١]، وقوله تعالى: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ [الحشر: ٧]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ ﴾ [الأنفال: ٤١]. ولهذا كان أظهر أقوال العلماء أن هذه الأموال تصرف فيما يحبه الله ورسوله بحسب اجتهاد ولي الأمر كما هو مذهب مالك وغيره من السلف، ويذكر هذا رواية عن أحمد وقد قيل في الخمس: إنه يقسم على خمسة كقول الشافعي وأحمد في المعروف عنه، وقيل على ثلاثة كقول أبي حنيفة رحمه الله. والمقصود هنا أن العبد الرسول هو أفضل من النبي الملك، كما أن إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام أفضل من يوسف وداود وسليمان عليهم السلام، كما أن المقربين السابقين أفضل من الأبرار أصحاب اليمين الذين ليسوا مقربين سابقين. فمن أدى ما أوجب الله عليه، وفعل من المباحات ما يحبه فهو من هؤلاء. ومن كان إنما يفعل ما يحبه الله ويرضاه، ويقصد أن يستعين بما أبيح له على ما أمره الله، فهو من أولئك.

فصل في أن الله تعالى ذكر أولياءه في كتابه [أمة محمد ﷺ]

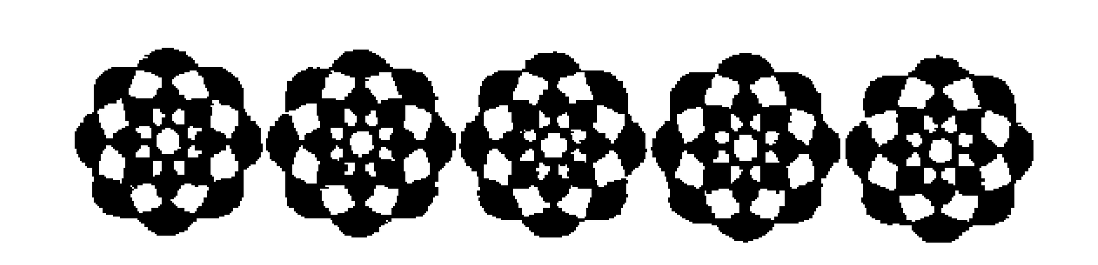
وقد ذكر الله ﷻ أولياءه المقتصدين والسابقين في سورة فاطر في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فاطر: ٣٢ – ٣٥]. لكن هذه الأصناف الثلاثة في هذه الآية هم أمة محمد ﷺ خاصة كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ

عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر: ٣٢]، وأمة محمد ﷺ هم الذين أورثوا الكتاب بعد الأمم المتقدمة، وليس ذلك مختصا بحفاظ القرآن، بل كل من آمن بالقرآن فهو من هؤلاء وقسمهم إلى ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات، بخلاف الآيات التي في [**الواقعة، والمطففين، والانفطار**]، فإنه دخل فيها جميع الأمم المتقدمة كافرهم ومؤمنهم، وهذا التقسيم لأمة محمد ﷺ، فالظالم لنفسه أصحاب الذنوب المصرون عليها، ومن تاب من ذنبه — أي ذنب كان — توبة صحيحة لم يخرج بذلك عن السابقين والمقتصدين، والمقتصد المؤدي للفرائض المجتنب للمحارم والسابق للخيرات هو المؤدي للفرائض والنوافل كما في تلك الآيات، ومن تاب من ذنبه — أي ذنب كان — توبة صحيحة لم يخرج بذلك عن السابقين والمقتصدين، كما في قوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣ — ١٣٦].
والمقتصد المؤدي للفرائض المجتنب للمحارم، والسابق بالخيرات هو المؤدي للفرائض والنوافل كما في تلك الآيات، وقوله: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ [النحل: ٣١]، و[الرعد: ٢٣]، مما يستدل به أهل السنة على أنه لا يخلد في النار أحد من أهل التوحيد.

عذاب أهل الكبائر

وأما دخول كثير من أهل الكبائر النار فهذا مما تواترت به السنن عن النبي ﷺ، كما تواترت بخروجهم من النار، وشفاعة نبينا محمد ﷺ في أهل الكبائر

وإخراج من يخرج من النار بشفاعة نبينا محمد ﷺ وشفاعة غيره، فمن قال: إن أهل الكبائر مخلدون في النار، وتأول الآية على أن السابقين هم الذين يدخلونها وأن المقتصد أو الظالم لنفسه لا يدخلها كما تأوله من [تأوله من] المعتزلة فهو مقابل بتأويل المرجئة الذين لا يقطعون بدخول أحد من أهل الكبائر النار، ويزعمون أن أهل الكبائر قد يدخل جميعهم الجنة بلا عذاب، وكلاهما مخالف للسنة المتواترة عن النبي ﷺ ولإجماع سلف الأمة وأئمتها، وقد دل على فساد قول الطائفتين قول الله تعالى في آيتين من كتابه وهو قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ** ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦] فأخبر تعالى أنه لا يغفر الشرك، وأخبر أنه يغفر ما دونه لمن يشاء، ولا يجوز أن يراد بذلك التائب كما يقوله من يقوله من المعتزلة، لأن الشرك يغفره الله لمن تاب، وما دون الشرك يغفره الله أيضا للتائب، فلا تعلق بالمشيئة. ولهذا ذكر المغفرة للتائبين قال تعالى: ﴿ **قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ** ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر: ٥٣] فهنا عمم المغفرة وأطلقها، فإن الله يغفر للعبد أي ذنب تاب منه. فمن تاب من الشرك غفر الله له، ومن تاب من الكبائر غفر الله له، وأي ذنب تاب العبد منه غفر الله له. ففي آية التوبة عمم وأطلق، وفي تلك الآية خصص وعلق، فخص الشرك بأنه لا يغفر. وعلق ما سواه على المشيئة. ومن الشرك التعطيل للخالق، وهذا يدل على فساد قول من يجزم بالمغفرة لكل مذنب، [ونبه بالشرك على ما هو أعظم منه كتعطيل الخالق] أو يجوز أن لا يعذب بذنب، فإنه لو كان كذلك لما ذكر أنه يغفر البعض دون البعض، ولو كان كل ظالم لنفسه مغفورا له بلا توبة ولا حسنات ماحية لم يعلق ذلك بالمشيئة. وقوله تعالى: ﴿ **وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ** ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦] دليل على أنه يغفر البعض دون البعض، فبطل النفي والوقف العام.



فصل في أن التفاضل في الولاية كالتفاضل في الإيمان والتقوى

وإذا كان أولياء الله ﷻ هم المؤمنون المتقون، والناس يتفاضلون في الإيمان والتقوى، فهم متفاضلون في ولاية الله بحسب ذلك، كما أهم لما كانوا متفاضلين في الكفر والنفاق كانوا متفاضلين في عداوة الله بحسب ذلك.

الكفر المسبب للعذاب

وأصل الإيمان والتقوى: الإيمان برسل الله، وجماع ذلك: الإيمان بخاتم الرسل محمد ﷺ، فالإيمان به يتضمن الإيمان بجميع كتب الله ورسله. وأصل الكفر والنفاق هو الكفر بالرسل وبما جاءوا به، فإن هذا هو الكفر الذي يستحق صاحبه العذاب في الآخرة، فإن الله تعالى أخبر في كتابه أنه لا يعذب أحدا إلا بعد بلوغ الرسالة، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الإسراء: ١٥]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٣ – ١٦٥]، وقال تعالى عن أهل النار: ﴿ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ ﴾ [الملك: ٨، ٩]، فأخبر أنه كلما ألقي في النار فوج أقروا بأهم جاءهم النذير فكذبوه، فدل ذلك

على أنه لا يلقى فيها فوج إلا من كذب النذير. وقال تعالى في خطابه لإبليس: ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص: ٨٥]، فأخبر أنه يملؤها بإبليس ومن اتبعه فإذا ملئت بهم لم يدخلها غيرهم، فعلم أنه لا يدخل النار إلا من تبع الشيطان، وهذا يدل على أنه لا يدخلها من لا ذنب له فإنه ممن لم يتبع الشيطان ولم يكن مذنبا. وما تقدم يدل على أنه لا يدخلها إلا من قامت عليه الحجة بالرسل.

فصل فيه تتميم لمعنى ما تقدم الإيمان مجملا ومفصلا

ومن الناس من يؤمن بالرسل إيمانا عاما مجملا، وأما الإيمان المفصل فيكون قد بلغه كثير مما جاءت به الرسل، ولم يبلغه بعض ذلك، فيؤمن بما بلغه عن الرسل، وما لم يبلغه لم يعرفه ولو بلغه لآمن به، ولكن آمن بما جاءت به الرسل إيمانا مجملا، فهذا إذا عمل بما علم أن الله أمره به مع إيمانه وتقواه فهو من أولياء الله تعالى، له من ولاية الله بحسب إيمانه وتقواه، وما لم تقم عليه الحجة فإن الله تعالى لم يكلفه معرفته والإيمان المفصل به، فلا يعذبه على تركه، لكن يفوته من كمال ولاية الله بحسب ما فاته من ذلك، فمن علم بما جاء به الرسل وآمن به إيمانا مفصلا وعمل به فهو أكمل إيمانا وولاية لله من لم يعلم ذلك مفصلا ولم يعمل به، وكلاهما ولي لله تعالى.

التفاضل ونعيم الآخرة

والجنة درجات متفاضلة تفاضلا عظيما، وأولياء الله المؤمنون المتقون في تلك الدرجات بحسب إيمانهم وتقواهم، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ

ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الإسراء: ١٨ – ٢١]، فبين الله ﷻ أنه يمد من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة من عطائه، وأن عطاءه ما كان محظورا من بر ولا فاجر، ثم قال تعالى: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الإسراء: ٢١]، فبين سبحانه أن أهل الآخرة يتفاضلون فيها أكثر مما يتفاضل الناس في الدنيا، وأن درجاتها أكبر من درجات الدنيا، وقد بين تفاضل أنبيائه عليهم السلام كتفاضل سائر عباده المؤمنين فقال تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ ﴾ [الإسراء: ٥٥]، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك. واستعن بالله ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل. فإن «لو» تفتح عمل الشيطان**»[1].

❁❁❁❁❁

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٦٤)، وأحمد (٢/ ٣٧٠)، والحميدي (١١١٤)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٤٢)، الخطيب في «تاريخ بغداد» (٣٤٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٢٩٦)، والبيهقي في السنن (١٠/ ٨٩).

والمراد بالقوة هنا: عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة، فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداما على العدو في الجهاد، وأسرع خروجا إليه، وذهابا في طلبه، وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصبر على الأذى، واحتمال المشاق في ذات الله تعالى وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات وأنشط قلبا لها ومحافظة عليها، ونحو ذلك «شرح صحيح مسلم» للنووي (٦/ ١٦٣).

إذا اجتهد الحاكم فأصاب

وفي الصحيحين عن أبي هريرة وعمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر**»[1]، وقد قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الحديد: ١٠]، وقال تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [النساء: ٩٥، ٩٦]، وقال تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [التوبة: ١٩ – ٢٢]، وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩]، وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة: ١١].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦)، وأحمد (١٧٣٢٠)، وأبو داود (٣٥٧٤)، والترمذي (١٣٢٦)، وابن ماجه (٢٣١٤)، والنسائي (٥٩١٨)، قال النووي: قال العلماء: أجمع المسلمون على أن هذا الحديث في حاكم عالم أهل للحكم فإن أصاب فله أجران أجر باجتهاده بإصابته، وإن أخطأ فله أجر باجتهاده. انظر شرح النووي على حديث رقم (١٧١٦).

فصل التقوى شرط لنيل الولاية

وإذا كان العبد لا يكون وليًّا لله إلا إذا كان مؤمنًا تقيًّا لقوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝ ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣]، وفي صحيح البخاري الحديث المشهور وقد تقدم، يقول الله تبارك وتعالى فيه: «**ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه**» (١)، ولا يكون مؤمنًا تقيًّا حتى يتقرب إلى الله بالفرائض فيكون من الأبرار أهل اليمين، ثم بعد ذلك لا يزال يتقرب بالنوافل حتى يكون من السابقين المقربين، فمعلوم أن أحدًا من الكفار والمنافقين لا يكون وليًّا لله.

لا إثم على الأطفال الكفار

وكذلك من لا يصح إيمانه وعبادته وإن قدر أنه لا إثم عليه مثل أطفال الكفار، ومن لم تبلغه الدعوة ونحوهم – وإن قيل إنهم لا يعذبون حتى يرسل إليهم رسولاً – فلا يكونون من أولياء الله إلا إذا لم يكونوا من المؤمنين المتقين. فمن لم يتقرب إلى الله لا بفعل الحسنات ولا بترك السيئات لم يكن من أولياء الله.

رفع القلم عن ثلاث

وكذلك المجانين والأطفال، فإن النبي ﷺ قال: «**رفع القلم عن ثلاث: عن**

---

(١) صحيح: سبق تخريجه (ص ١٥).

المجنون حتى يفيق، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن النائم حتى يستيقظ» [1]، وهذا الحديث قد رواه أهل السنن من حديث علي وعائشة رضي الله عنهما، واتفق أهل المعرفة على تلقيه بالقبول، لكن الصبي المميز تصح عباداته ويثاب عليها عند جمهور العلماء.

بيان المجنون

وأما المجنون الذي رفع عنه القلم فلا يصح شيء من عبادته باتفاق العلماء، ولا يصح منه إيمان ولا كفر ولا صلاة ولا غير ذلك من العبادات بل لا يصلح هو عند عامة العقلاء لأمور الدنيا كالتجارة والصناعة، فلا يصلح أن يكون بزازا ولا عطارا ولا حدادا ولا نجارا، ولا تصح عقوده باتفاق العلماء: فلا يصح بيعه ولا شراؤه ولا نكاحه ولا طلاقه ولا إقراره ولا شهادته ولا غير ذلك من أقواله بل كلها لغو لا يتعلق بها حكم شرعي ولا ثواب ولا عقاب، بخلاف الصبي المميز فإن له أقوالا معتبرة في مواضع بالنص والإجماع، وفي مواضع فيها نزاع، وإذا كان المجنون لا يصح منه الإيمان ولا التقوى ولا التقرب إلى الله بالفرائض والنوافل وامتنع أن يكون وليا لله فلا يجوز لأحد أن يعتقد أنه ولي لله، لا سيما أن تكون حجته على ذلك إما مكاشفة سمعها منه أو نوع من تصرف، مثل أن يراه قد أشار إلى واحد فمات أو صرع، فإنه قد علم أن الكفار والمنافقين من المشركين وأهل الكتاب لهم مكاشفات وتصرفات شيطانية، كالكهان والسحرة وعباد المشركين وأهل الكتاب فلا يجوز لأحد أن يستدل -بمجرد ذلك- على كون

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري تعليقا (كتاب الطلاق باب ١١)، وأحمد (٩٤٠)، وابن أبي شيبة (٥/ ٢٦٨)، وأبو داود (٢٤٩٨)، والنسائي (٥٦٢٥)، وابن ماجه (٢٠٤١)، وابن خزيمة (١٠٠٣)، وابن حبان (١٤٣)، والحاكم (١/ ٢٥٨)، والطيالسي (٩٠)، والدارقطني (١٧٣)، والبيهقي في السنن (٣/ ٨٣)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٢٩٧)، وقال ابن حبان المراد بدفع القلم ترك كتابة الشر عنهم دون الخير انظر ترتيب الإحسان لصحيح ابن حبان حديث رقم (١٤٣).

الشخص وليا لله وإن لم يعلم منه ما يناقض ولاية الله، فكيف إذا علم منه ما يناقض ولاية الله، مثل أن يعلم أنه لا يعتقد وجوب اتباع النبي ﷺ باطنا وظاهرا بل يعتقد أنه يتبع الشرع الظاهر دون الحقيقة الباطنة، أو يعتقد أن لأولياء الله طريقا إلى الله غير طريق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

عدم إيمان من يقول أن الأنبياء ضيقوا الطريق

أو يقول إن الأنبياء ضيقوا الطريق، أو هم على قدوة العامة دون الخاصة، ونحو ذلك مما يقوله بعض من يدعي الولاية، فهؤلاء فيهم من الكفر ما يناقض الإيمان فضلا عن ولاية الله ﷻ، فمن احتج بما يصدر عن أحدهم من خرق عادة على ولايتهم كان أضل من اليهود والنصارى. وكذلك المجنون فإن كونه مجنونا يناقض أن يصح منه الإيمان والعبادات التي هي شرط في ولاية الله.

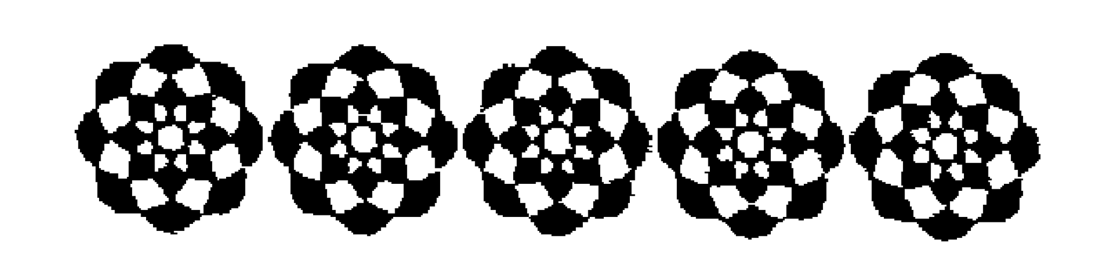
من كان يجن أحيانا ويفيق أحيانا

ومن كان يجن أحيانا ويفيق أحيانا إذا كان في حال إفاقته مؤمنا بالله ورسوله ويؤدي الفرائض ويجتنب المحارم فهذا إذا جن لم يكن جنونه مانعا من أن يثيبه الله على إيمانه وتقواه الذي أتى به حال إفاقته، ويكون له من ولاية الله بحسب ذلك، وكذلك من طرأ عليه الجنون بعد إيمانه وتقواه فإن الله يثيبه ويأجره على ما تقدم من إيمانه وتقواه، ولا يحبطه بالجنون الذي ابتلى به من غير ذنب فعله، والقلم مرفوع عنه في حال جنونه. فعلى هذا فمن أظهر الولاية وهو لا يؤدي الفرائض ولا يجتنب المحارم، بل قد يأتي بما يناقض ذلك، لم يكن لأحد أن يقول هذا ولي لله، فإن هذا إن لم يكن مجنونا بل كان متولها من غير جنون، أو كان يغيب عقله

بالجنون تارة ويفيق أخرى، وهو لا يقوم بالفرائض، بل يعتقد أنه لا يجب عليه اتباع الرسول ﷺ، فهو كافر. من اعتقد بأن هذا ولي لله فهو كافر وإن كان مجنونا باطنا وظاهرا قد ارتفع عنه القلم، فهذا وإن لم يكن معاقبا عقوبة الكافرين فليس هو مستحقا لما يستحقه أهل الإيمان والتقوى من كرامة الله ﷻ، فلا يجوز على التقديرين أن يعتقد فيه أحد أنه ولي لله، ولكن إن كان له حالة في إفاقته كان فيها مؤمنا بالله متقيا كان له من ولاية الله بحسب ذلك، إن كان له في حال إفاقته فيه كفر أو نفاق أو كان كافرا أو منافقا ثم طرأ عليه الجنون فهذا فيه من الكفر والنفاق ما يعاقب عليه، وجنونه لا يحبط عنه ما يحصل منه حال إفاقته من كفر أو نفاق.

فصل ليس لأولياء الله شيء يتميزون به عن الناس

وليس لأولياء الله شيء يتميزون به عن الناس في الظاهر من الأمور المباحات، فلا يتميزون بلباس دون لباس إذا كان كلاهما مباحا، كما قيل: (كم من صديق في قباء، وكم من زنديق في عباء). بل يوجدون في جميع أصناف أمة محمد ﷺ إذا لم يكونوا من أهل البدع الظاهرة والفجور، فيوجدون في أهل القرآن، وأهل العلم، ويوجدون في أهل الجهاد والسيف، ويوجدون في التجار والصناع والزراع. وقد ذكر الله أصناف أمة محمد ﷺ في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ** ﴾ [المزمل: ٢٠].



الصوفية حدث بعد السلف

وكان السلف يسمون أهل الدين والعلم «**القراء**» فيدخل فيهم العلماء والنساك ثم حدث – بعد ذلك – اسم «**الصوفية والفقراء**». واسم «**الصوفية**» هو نسبة إلى لباس الصوف، هذا هو الصحيح، وقد قيل: إنه نسبة إلى صفوة الفقهاء، وقيل: إلى صوفة بن أبي طابخة قبيلة من العرب كانوا يعرفون بالنسك، وقيل: إلى أهل الصفة، وقيل إلي الصفا، وقيل إلى الصفوة، وقيل إلى الصف المقدم بين يدي الله تعالى. وهذه أقوال ضعيفة، فإنه لو كان كذلك لقيل صفى أو صفائي أو صفوى أو صفي ولم يقل صوفي. وصار أيضا اسم «**الفقراء**» يعني به أهل السلوك، وهذا عرف حادث.

الغنى الشاكر أفضل أم الفقير الصابر

وقد تنازع الناس: أيما أفضل؟ مسمى الصوفي أو مسمى الفقير، ويتنازعون أيضا: أيما أفضل، الغني الشاكر أو الفقير الصابر؟ وهذه المسألة فيها نزاع قديم بين الجنيد وبين أبي العباس بن عطاء، وقد روى عن أحمد بن حنبل فيها روايتان، والصواب في هذا كله ما قاله الله تبارك وتعالى حيث قال: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ** ﴾ [الحجرات: ١٣]، وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه سئل: أي الناس أفضل؟ قال: «**أتقاهم**»، قيل له: ليس عن هذا نسألك، فقال: «**يوسف نبي الله ابن يعقوب نبي الله ابن إسحاق نبي الله ابن إبراهيم نبي الله**»، فقيل له: ليس عن هذا نسألك، فقال: «**عن معادن العرب تسألوني؟ الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا**

فقهوا» [١]. فدل الكتاب والسنة أن أكرم الناس عند الله، أتقاهم. وفي السنن عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأسود على أبيض ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى، كلكم لآدم وآدم من تراب**» [٢]. وعنه أيضا ﷺ أنه قال: «**إن الله تعالى أذهب عنكم عيبة الجاهلية وفخرها بالآباء. الناس رجلان مؤمن تقي، وفاجر شقي**» [٣]، فمن كان من هذه الأصناف أتقى لله فهو أكرم عند الله: وإذا استويا في التقوى استويا في الدرجة.

الفقر والجهاد

ولفظ «**الفقر**» في الشرع يراد به الفقر من المال، ويراد به فقر المخلوق إلى خالقه، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ ﴾ [التوبة: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [فاطر: ١٥]، وقد مدح الله تعالى في القرآن صنفين من الفقراء أهل الصدقات وأهل الغنى فقال في الصنف الأول: ﴿ **لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗا** ﴾ [البقرة: ٢٧٣]. وقال في الصنف الثاني وهم

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٣٥٣)، ومسلم (٢٥٢٦)، وأحمد (٢/ ٥٢٥)، وابن حبان (٩١)، والطيالسي (٢٤٧٦)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣٣٥١)، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ١٣٣).

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (٥/ ٤١١)، والطبراني في «الأوسط» (٤٧٤٩)، وأورده المتقي الهند في «كنز العمال»، وقال: أخرجه ابن النجار عن أبي سعيد رقم (٥٦٥٥)، وأخرجه البيهقي في «الشعب» عن جابر برقم (٥٦٥٢)، والرقمين من الكنز.

(٣) **حسن**: أخرجه أحمد (٢/ ٣٦١)، وأبو داود (٥١١٦)، والترمذي (٣٩٥٥)، والبيهقي في السنن (١٠/ ٢٣٢)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣٤٥٨)، والخطيب «تاريخ بغداد» (٦/ ١٨٨).

أفضل الصنفين: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الحشر: ٨]، وهذه صفة المهاجرين الذين هجروا السيئات وجاهدوا أعداء الله باطنا وظاهرا كما قال النبي ﷺ: «**المؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه، والمجاهد من جاهد نفسه في ذات الله**»[1].

فصل حديث موضوع

وأما الحديث الذي يرويه بعضهم أنه قال في غزوة تبوك: «**رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر**»[2]، فلا أصل له ولم يروه أحد من أهل المعرفة بأقوال النبي ﷺ وأفعاله، وجهاد الكفار من أعظم الأعمال، بل هو أفضل ما تطوع به الإنسان، قال الله تعالى: ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [النساء: ٩٥]، وقال تعالى: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ

(١) صحيح: هذا الحديث مكون من أربعة فقرات أخرجه كاملا أحمد (٦/ ٢١)، وابن حبان (٢٥) موارد، والحاكم (١/ ١١)، وأخرج بعض فقراته كل من البخاري (٦٤٨٤)، ومسلم (٦٥)، والترمذي (١٦٢١)، وابن عدي (٢/ ٦٧٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٤)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٢٨).

(٢) ضعيف: أخرجه الخطيب في «التاريخ» (١٣/ ٥٢٣)، وأورده علي القاري في الأسرار المرفوعة برقم (٢٠٧).

فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [التوبة: ١٩ – ٢٢]. وثبت في صحيح مسلم وغيره عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: «كنت عند النبي ﷺ، فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج، وقال آخر: ما أبالي أن أعمل عملا بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام. وقال علي بن أبي طالب: الجهاد في سبيل الله أفضل مما ذكرتما. فقال عمر: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ، ولكن إذا قضيت الصلاة سألته. فسأله، فأنزل الله تعالى هذه الآية»[1].

أي العمل أفضل

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أي الأعمال أفضل عند الله عز وجل؟ قال: «**الصلاة على وقتها**». قلت: ثم أي؟ قال: «**بر الوالدين**». قلت: ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**»، قال حدثني بهن رسول الله ﷺ ولو استزدته لزادني[2]. وفي الصحيحين عنه ﷺ أنه سئل: أي الأعمال أفضل؟ قال: «**الإيمان بالله، وجهاد في سبيله**». قيل: ثم ماذا؟ قال: «**حج مبرور**»[3]. وفي الصحيحين أن رجلا قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله أخبرني بعمل يعدل الجهاد في سبيل الله، قال: «**لا تستطيعه – أو لا تطيقه –**» قال: فأخبرني به، قال: «**هل تستطيع إذا خرجت مجاهدا أن تصوم ولا تفطر**

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٨٧٩)، وأحمد (١٨٣٦٧)، وأبو عوانة (٥/ ٤٦)، والطبراني في «الأوسط» (٤٢٣)، وابن منده في «الإيمان» (٢٤٣)، والبيهقي في السنن (٩/ ١٥٨).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٢٧)، ومسلم (١٣٩)، والنسائي في «المجتبى» (١/ ٢٩٢)، وابن حبان (١٤٧٧)، والطبراني (٩٨٠٥)، والبيهقي في السنن (٢/ ٢١٥)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٣/ ٢٧)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٤٤).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٦)، ومسلم (١٣٥)، وأحمد (٢/ ٢٥٨)، وأبو داود (١٤٤٩)، والترمذي (١٦٥٨)، والنسائي (٢٣٠٥)، والدارمي (٢٣٩٣).

وتقوم ولا تفتر؟»[(١)]. وفي السنن عن معاذ ﷺ عن النبي ﷺ أنه أوصاه لما بعثه إلى اليمن فقال: «**يا معاذ اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**»[(٢)]. وقال: «**يا معاذ، إني لأحبك، فلا تدع أن تقول في دبر كل صلاة: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»[(٣)]. وقال له وهو رديفه: «**يا معاذ، أتدري ما حق الله على عباده؟**» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا. أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟**» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**حقهم عليه أن لا يعذبهم**»[(٤)]. وقال أيضا لمعاذ: «**رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله**». وقال: «**يا معاذ، ألا أخبرك بأبواب البر؟ الصوم جنة، والصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وقيام الرجل في جوف الليل**»: ثم قرأ: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٦، ١٧] ثم قال: «**يا معاذ، ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟**» قلت: بلى، فقال: «**أمسك عليك لسانك هذا**». فأخذ بلسانه، قال: يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: «**ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصاد ألسنتهم؟**»[(٥)].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٢٧٨٥)، ومسلم (١٨٧٨)، وأحمد (٣١٢٤)، والنسائي (٣١٢٤)، ومالك في «الموطأ» (٢/ ٣٥٥).

(٢) حسن: أخرجه أحمد (٢٠٨٤٧)، وابن أبي شيبة (٥٣٧٥)، والترمذي (١٩٨٧)، والطبراني في «الصغير» (١/ ١٩٢)، والدارمي (٢٧٩١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٢٨)، وابن عبد البر في التمهيد (٦/ ٥٥)، وأورده الألباني في «الصحيحة» (١٣٧٣).

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٢٤٤)، وأبو داود (١٥٢٢)، وابن خزيمة (٧٥١)، وابن حبان (٢٠٢٠)، والحاكم (١/ ٢٧٣)، والطبراني (٢٠/ ١١١)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٤١).

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٤٩)، وأحمد (٢٨٥)، والخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» (١٩٤).

(٥) حسن: أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٧/ ٤٢٦)، وأحمد (٢١٥١١)،

حقيقة الصمت

وتفسير هذا ما ثبت في الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت**»[١]، فالتكلم بالخير خير من السكوت عنه، والصمت من الشر خير من التكلم به، فأما الصمت الدائم فبدعة منهي عنها، وكذلك الامتناع عن أكل الخبز واللحم وشرب الماء فذلك من البدع المذمومة أيضا كما ثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ رأى رجلا قائما في الشمس، فقال: «**ما هذا؟**» فقالوا: أبو إسرائيل، نذر أن يقوم في الشمس ولا يستظل ولا يتكلم، ويصوم، فقال النبي ﷺ: «**مروه فليجلس، وليستظل، وليتكلم، وليتم صومه**»[٢]. وثبت في الصحيحين عن أنس أن رجالا سألوا عن عبادة رسول الله ﷺ، فكأنهم تقالوها، فقالوا: وأينا مثل رسول الله ﷺ؟ ثم قال أحدهم: أما أنا فأصوم ولا أفطر، وقال الآخر: أما أنا فأقوم فلا أنام، وقال الآخر: أما أنا فلا آكل اللحم. وقال الآخر: أما أنا فلا

= والترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، والبغوي في «شرح السنة» (١١)، وأورده الألباني في «الإرواء» (٤١٣).

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٤٧٥)، ومسلم (٧٤)، وأحمد (٧٥٧١)، وأبو داود (٥١٥٤)، والترمذي (٢٥٠٠)، وابن ماجه (٣٩٧١).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٧٠٤)، وأبو داود (٣٣٠٠)، وابن ماجه (٢١٣٦)، وقال القرطبي: في قصة أبي إسرائيل هذا أعظم حجة للجمهور في عدم وجوب الكفارة على من نذر معصية أو مالا طاقة فيه انتهى وفيه دليل على أن السكوت عن المباح أو عن ذكر الله ليس بطاعة وكذلك الجلوس في الشمس، وفي معناه كل ما يتأذى به الإنسان مما لا طاعة فيه ولا قربة بنص كتاب أو سنة كالجفاء، وإنما الطاعة ما أمر الله به رسوله ﷺ وفيه دليل أيضا على إبطال ما أحدثته الجهلة المتصوفة، من الأشغال المحدثة والأعمال الشاقة المنكرة ويزعمون أنها طريقة تزكية أنفاسهم، وهذا جهل منهم عن أحكام الشريعة فإن النبي ﷺ ما ترك لنا شيئا إلا بينه، فمن وجدوها ومن أين أخذوها، والله أعلم. انظر «عون المعبود» عند شرح حديث رقم (٣٣٠٠).

أتزوج النساء. فقال رسول الله ﷺ: «**ما بال رجال يقول أحدهم كذا وكذا؟ ولكني أصوم وأفطر، وأنام، وآكل اللحم، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[(١)]، أي سلك غيرها ظانا أن غيرها خير منها. فمن كان كذلك فهو بريء من الله ورسوله. قال تعالى: ﴿ **وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ** ﴾ [البقرة: ١٣٠]، بل يجب على كل مؤمن أن يعلم أن خير الكلام كلام الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، كما ثبت عنه في الصحيح أنه كان يخطب بذلك كل يوم جمعة[(٢)].

فصل في أن الولي ليس من شرط ولايته أن يكون معصوما

وليس من شرط ولي الله أن يكون معصوما لا يغلط ولا يخطيء، بل يجوز أن يخفي عليه بعض علم الشريعة، ويجوز أن يشتبه عليه بعض أمور الدين حتى يحسب بعض الأمور مما أمر الله به ومما نهى الله عنه، ويجوز أن يظن في بعض الخوارق أنها من كرامات أولياء الله تعالى وتكون من الشيطان لبسها عليه لنقص درجته ولا يعرف أنها من الشيطان وإن لم يخرج بذلك من ولاية الله تعالى فإن الله

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١)، وأحمد (٦/ ٢٦٨)، وأبو داود (١٣٦٩)، والدارمي (٢١٧٥)، وابن حبان (١٢٨٨).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٨٦٧)، وأحمد (٣/ ٣١٩)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (٢٠٠٧٦)، والنسائي (٣/ ١٨٨)، وابن ماجه (٤٦)، والبيهقي في السنن (٣/ ٢١٣)، قال العلماء: لفظ الهدى له معنيان أحدهما بمعنى الدلالة والإرشاد وهو الذي يضاف إلى الرسل والقرآن والعباد قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ [الشورى: ٥٢]، وأيضا: ﴿ **إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ** ﴾ [الإسراء: ٩]، والثاني: بمعنى اللطف والتوفيق والعصمة والتأييد وهو الذي تفرد به الله ﷻ ومنه: ﴿ **إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ** ﴾ [القصص: ٥٦]، انظر «شرح صحيح مسلم» للنووي على حديث رقم (٨٦٧).

سبحانه وتعالى تجاوز لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان [وما استكرهوا] عليه، فقال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٥، ٢٨٦]، وقد ثبت في الصحيحين أن الله سبحانه استجاب هذا الدعاء وقال: «**قد فعلت**»[(١)]. ففي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت هذه الآية ﴿ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٤] قال: دخل قلوبهم منها شيء لم يدخلها قبل ذلك شيء أشد منه، فقال النبي ﷺ: «**قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا**»، قال فألقى الله الإيمان في قلوبهم، فأنزل الله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا ﴾ إلى قوله: ﴿ أَوۡ أَخۡطَأۡنَا ﴾ قال الله : «**قد فعلت**»، ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَا ﴾ قال: «**قد فعلت**»، ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ قال: «**قد فعلت**»، وقد قال تعالى: ﴿ وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡ ﴾ [الأحزاب: ٥].

❁❁❁❁❁

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٠٠)، وأحمد (٢٠٧٠)، والترمذي (٢٩٩٥)، والحاكم (٢/ ٢٨٦)، وابن جرير في «التفسير» (٣/ ١٦٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص ٦٠)، ولم يخرجه البخاري.

إذا اجتهد الحاكم

وثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة وعمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعا أنه قال: «**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر**»[1]، فلم يؤثم المجتهد المخطئ بل جعل له أجرا على اجتهاده، وجعل خطأه مغفورا له، ولكن المجتهد المصيب له أجران، فهو أفضل منه.

ولهذا لما كان ولي الله يجوز أن يغلط لم يجب على الناس الإيمان بجميع ما يقوله من هو ولي لله، إلا أن يكون نبيا، ولا يجوز لولي الله أن يعتمد على ما يلقى إلى قلبه إلا أن يكون موافقا [للشرع]، وعلى ما يقع له مما يراه إلهاما ومحادثة وخطابا من الحق، بل يجب عليه أن يعرض ذلك جميعه على ما جاء به محمد ﷺ فإن وافقه قبله، وإن خالفه لم يقبله، وإن لم يعلم أموافق هو أم مخالف توقف فيه.

موقف الناس أمام الولاية

والناس في هذا الباب ثلاثة أصناف: طرفان، ووسط، فمنهم من إذا اعتقد في شخص أنه ولي لله وافقه في كل ما يظن أنه حدثه به قلبه عن ربه، وسلم إليه جميع ما يفعله. ومنهم من إذا رآه قال أو فعل ما ليس بموافق للشرع أخرجه عن ولاية الله بالكلية وإن كان مجتهدا مخطئا وخيار الأمور أوساطها، وهو أن لا يجعل معصوما ولا مأثوما إذا كان مجتهدا مخطئا، فلا يتبعه في كل ما يقوله ولا يحكم عليه بالكفر والفسق مع اجتهاده، والواجب على الناس اتباع ما بعث الله به رسوله. أما إذا خالف قول بعض الفقهاء ووافق قول آخرين لم يكن لأحد أن يلزمه بقول المخالف ويقول هذا خالف الشرع، وقد ثبت في الصحيحين عن النبي

(١) صحيح: سبق تخريجه (ص ٤١).

ﷺ أنه قال: «**قد كان في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي أحد فعمر منهم**» (١). وروى الترمذي وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: «**لو لم أبعث فيكم لبعث فيكم عمر**» (٢). وفي حديث آخر: «**إن الله ضرب الحق على لسان عمر وقلبه**» (٣)، وفيه: «**لو كان نبي بعدي لكان عمر**» (٤). وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: «ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر»، ثبت هذا عنه من رواية الشعبي. وقال ابن عمر: «ما كان عمر يقول في شيء إني لأراه كذا إلا كان كما يقول»، وعن قيس بن طارق قال: كنا نتحدث أن عمر ينطق على لسانه ملك. وكان عمر يقول: «اقتربوا من أفواه المطيعين واسمعوا منهم ما يقولون، فإنه تتجلى لهم أمور صادقة».، وهذه الأمور الصادقة التي أخبر بها عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أنها تتجلى للمطيعين هي الأمور التي يكشفها الله عز وجل لهم، فقد ثبت أن لأولياء الله مخاطبات ومكاشفات، وأفضل هؤلاء في هذه الأمة بعد أبي بكر عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، فإن خير هذه الأمة نبيها ثم أبو بكر ثم عمر، وقد ثبت في الصحيح تعيين عمر بأنه محدث في هذه الأمة(٥)، فأي محدث ومخاطب فرض في أمة محمد ﷺ فعمر أفضل منه.

ومع هذا فكان عمر رضي الله عنه يفعل ما هو الواجب عليه، فيعرض ما يقع له على ما جاء به الرسول ﷺ، فتارة يوافقه فيكون ذلك من فضائل عمر كما نزل القرآن

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٤٦٩)، ومسلم (٢٣٩٨)، وأحمد (٤/ ٢٣٧)، وقال ابن وهب في «تفسيره»: محدثون ملهمون. «شرح صحيح مسلم» للنووي حديث رقم (٢٣٩٨).

(٢) **منكر**: أخرجه ابن عدي (٣/ ١٠٧١)، وأورده المتقي الهندي في كنز العمال وعزاه للخطيب فيما رواه مالك، وابن عساكر عن ابن عمر ونقل عنه قوله: «منكر»، وذكره ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (١/ ٣٧٣).

(٣) **حسن**: أخرجه أحمد (٥١٤٥)، والترمذي (٣٦٨٢)، وابن حبان (٦٨٨٩)، والطبراني في «الكبير» (١٠٧٧)، وفي «الأوسط» (٢٩١)، وابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٣٣٥)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٨٧٥).

(٤) **حسن**: أخرجه أحمد (١٧٤٠٥)، والترمذي (٣٨٦)، والحاكم (٣/ ٨٥)، والطبراني (١٧/ ٨٥٧)، وابن عدي في الكامل (٣/ ١٠١٤).

(٥) **صحيح**: سبق تخريجه قريبا.

بموافقته غير مرة، وتارة يخالفه فيرجع عمر عن ذلك كما رجع يوم الحديبية لما كان قد رأى محاربة المشركين، والحديث معروف في البخاري وغيره، فإن النبي ﷺ قد اعتمر سنة ست من الهجرة ومعه المسلمون نحو ألف وأربعمائة — وهم الذين بايعوه تحت الشجرة — وكان قد صالح المشركين بعد مراجعة جرت بينه وبينهم على أن يرجع في ذلك العام ويعتمر من العام القابل، وشرط لهم شروطا فيها نوع غضاضة على المسلمين في الظاهر، فشق ذلك على كثير من المسلمين، وكان الله ورسوله أعلم وأحكم بما في ذلك من المصلحة، وكان عمر فيمن كره ذلك حتى قال للنبي ﷺ : يا رسول الله، ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: «**بلى**». قال: أفليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: «**بلى**». قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ فقال له النبي ﷺ : «**إني رسول الله، وهو ناصري، ولست أعصيه**». ثم قال: أفلم تكن تحدثنا أنا نأتي البيت ونطوف به؟ قال: «**أقلت لك إنك تأتيه العام؟**» قال: لا. قال: «**إنك آتيه ومطوف به**». فذهب عمر إلى أبي بكر رضي الله عنهما فقال له مثل ما قال للنبي ﷺ ، ورد عليه أبو بكر مثل جواب النبي ﷺ ، ولم يكن أبو بكر يسمع جواب النبي ﷺ ، فكان أبو بكر رضي الله عنه أكمل موافقة لله وللنبي ﷺ من عمر وعمر رضي الله عنه رجع عن ذلك وقال: فعملت لذلك أعمالا[1]. وكذلك لما مات النبي ﷺ أنكر عمر موته أولا، فلما قال أبو بكر إنه مات رجع عمر عن ذلك[2]. وكذلك في قتال مانعي الزكاة قال عمر لأبي بكر: كيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ : «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها؟**» فقال له أبو بكر رضي الله عنه: ألم يقل إلا بحقها؟ فإن الزكاة من حقها. والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها، قال عمر: فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعلمت أنه الحق[3].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٧٣١)، ومسلم (١٧٨٥).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٦٦٧)، وابن هشام في السيرة (٤/ ٢١١).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٩٢٤)، ومسلم (٢٠)، وأحمد (٦٧)، وأبو داود

المحدث والصديق

ولهذا نظائر من تقدم أبي بكر على عمر مع أن عمر ﷺ محدث، فإن مرتبة الصديق فوق مرتبة المحدث، لأن الصديق يتلقى عن الرسول المعصوم كل ما يقوله ويفعله، والمحدث يأخذ عن قلبه أشياء وقلبه ليس بمعصوم فيحتاج أن يعرضه على ما جاء به النبي المعصوم ﷺ، ولهذا كان عمر ﷺ يشاور الصحابة ﷺ ويناظرهم، ويرجع إليهم في بعض الأمور وينازعونه في أشياء، فيحتج عليهم ويحتجون عليه بالكتاب والسنة ويقررهم على منازعته، ولا يقول لهم أنا محدث ملهم مخاطب فينبغي لكم أن تقبلوا مني ولا تعارضوني.

فأي من ادعى — أو ادعى له أصحابه — أنه ولي لله، وأنه مخاطب يجب على أتباعه أن يقبلوا كل ما يقوله ولا يعارضوه، ويسلموا له حاله من غير اعتبار بالكتاب والسنة، فهو وهم مخطئون، ومثل هذا من أضل الناس، فعمر بن الخطاب ﷺ أفضل منه وهو أمير المؤمنين وكان المسلمون ينازعونه ويعارضون ما يقوله وهو وهم على الكتاب والسنة، وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ.

وهذا من الفروق بين الأنبياء وغيرهم: فإن الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه يجب لهم الإيمان بجميع ما يخبرون به عن الله ﷻ، وتجب طاعتهم فيما يأمرون به، بخلاف الأولياء فإنهم لا تجب طاعتهم في كل ما يأمرون به، ولا الإيمان بجميع ما يخبرون به. بل يعرض أمرهم وخبرهم على الكتاب والسنة، فما وافق الكتاب والسنة وجب قبوله، وما خالف الكتاب والسنة كان مخطئا وكان من الخطأ المغفور إذا كان صاحبه قد اتقى الله ما استطاع، فإن الله تعالى يقول: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦]، وهذا تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

= (١٠٥٦)، والترمذي (٢٦٠٧)، والنسائي (٤٢٩٩)، وابن حبان (٢١٧)، والبيهقي في السنن (٤/ ١٠٤)، وابن منده في «الإيمان» (٢١٦).

ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ [آل عمران: ١٠٢] قال ابن مسعود وغيره: حق تقاته أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر، أي بحسب استطاعتكم، فإن الله تعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها، كما قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأعراف: ٤٢]، وقال تعالى: ﴿ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [الأنعام: ١٥٢]. وقد ذكر الله ﷻ الإيمان بما جاءت به الأنبياء في غير موضع كقوله تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٦]، وقال تعالى: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [البقرة: ١ – ٥]، وقال تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ليس في الأولياء معصوم

وهذا الذي ذكرته من أن أولياء الله يجب عليهم الاعتصام بالكتاب والسنة، وأنه ليس فيهم معصوم يسوغ له أو لغيره اتباع ما يقع في قلبه من غير اعتبار بالكتاب

والسنة، وهو مما اتفق عليه أولياء الله ﷻ، من خالف في هذا فليس من أولياء الله سبحانه الذين أمر الله باتباعهم، بل إما أن يكون كافرا وإما أن يكون مفرطا في الجهل.

كلام المشايخ في الولاية

وهذا كثير من كلام المشايخ، كقول الشيخ أبي سليمان الداراني إنه ليقع في قلبي النكتة من نكت القوم، فلا أقبلها إلا بشاهدين: الكتاب والسنة.

وقال أبو القاسم الجنيد رحمة الله عليه علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة، فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يصلح له أن يتكلم في علمنا. أو قال: لا يقتدى به.

وقال أبو عثمان النيسابوري: من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة. ومن أمر الهوى على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة، لأن الله تعالى يقول في كلامه القديم: ﴿ **وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ** ﴾ [النور: ٥٤].

وقال أبو عمرو بن نجيد: كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل.

وكثير من الناس يغلط في هذا الموضع فيظن في شخص أنه ولي لله، ويظن أن ولي الله يقبل منه كل ما يقوله، [ويسلم إليه كل ما يقوله]، ويسلم إليه كل ما يفعله، وإن خالف الكتاب والسنة، فيوافق ذلك الشخص له ويخالف ما بعث الله به رسوله الذي فرض الله على جميع الخلق تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر، وجعله الفارق بين أوليائه وأعدائه، وبين أهل الجنة وأهل النار، وبين السعداء والأشقياء، فمن اتبعه كان من أولياء الله المتقين وجنده المفلحين وعباده الصالحين. ومن لم يتبعه كان من أعداء الله الخاسرين المجرمين، فتجره مخالفة الرسول وموافقة ذلك الشخص أولا إلى البدعة والضلال، وآخرا إلى الكفر والنفاق، ويكون له نصيب من قوله تعالى: ﴿ **وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي**

عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٧ - ٢٩]، وقوله: ﴿ يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأحزاب: ٦٦ - ٦٨]، وقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٥ - ١٦٧]، وهؤلاء مشابهون للنصارى الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة: ٣١]، وفي المسند وصححه الترمذي عن عدي بن حاتم في تفسيره هذه الآية لما سأل النبي ﷺ عنها فقال: ما عبدوهم، فقال النبي ﷺ: «**أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم، وكانت هذه عبادتهم إياهم**»[1]، ولهذا قيل في مثل هؤلاء: إنما حرموا الوصول بتضييع الأصول، فإن أصل الأصول تحقيق الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ. فلابد من الإيمان بالله ورسوله وبما جاء به الرسول ﷺ، فلابد من الإيمان بأن محمدا رسول الله ﷺ إلى جميع الخلق انسهم وجنهم وعربهم وعجمهم وعلمائهم وعبادهم ملوكهم وسوقتهم، وأنه لا طريق إلى الله ﷻ لأحد من الخلق إلا بمتابعته باطنا وظاهرا، حتى لو أدركه موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء لوجب عليهم اتباعه، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ

---

(١) **ضعيف**: أخرجه الترمذي (٣٠٩٥)، والبيهقي في السنن (١٠/ ١١٦)، والطبراني في «التفسير» (١٠/ ٨١)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢/ ١٣٣).

إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّى بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [آل عمران: ٨١، ٨٢]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ما بعث الله نبيا إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه، وق قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٠ – ٦٥].

إن ولي الله لا يخالف في شيء

وكل ما يخالف شيئا مما جاء به الرسول مقلدا في ذلك لمن يظن أنه ولي الله فإنه بنى أمره على أنه ولي لله وإن ولي الله لا يخالف في شيء، ولو كان هذا الرجل من أكبر أولياء الله كأكابر الصحابة والتابعين لهم بإحسان لم يقبل منه ما خالف الكتاب والسنة، فكيف إذا لم يكن كذلك؟ وتجد كثيرا من هؤلاء عمدهم في اعتقاد كونه وليا لله أنه قد صدر عنه مكاشفة في بعض الأمور أو بعض التصرفات الخارقة للعادة، مثل أن يشير إلى شخص فيموت، أو يطير في الهواء إلى مكة أو غيرها، أو مشى على الماء أحيانا، أو يملأ إبريقا من الهواء أو ينفق بعض

الأوقات من الغيب، أو أن يختفي أحيانا عن أعين الناس، أو أن بعض الناس استغاث به وهو غائب أو ميت فرآه قد جاءه فقضى حاجته، أو يخبر الناس بما سرق لهم أو بحال غائب لهم أو مريض أو نحو ذلك من الأمور، وليس في شيء من هذه الأمور ما يدل على أن صاحبها ولي لله بل قد اتفق أولياء الله على أن الرجل لو طار في الهواء أو مشى على الماء لم يغتر به حتى ينظر متابعته لرسول الله ﷺ وموافقته لأمره ونهيه.

خوارق العادات تكون للكفار

وكرامات أولياء الله تعالى أعظم من هذه الأمور، وهذه الأمور الخارقة للعادة وإن كان قد يكون صاحبها وليا لله فقد يكون عدوا لله، فإن هذه الخوارق تكون لكثير من الكفار والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين، وتكون لأهل البدع وتكون من الشياطين، فلا يجوز أن يظن أن كل من كان له شيء من هذه الأمور أنه ولي لله، بل يعتبر أولياء الله بصفاتهم وأفعالهم وأحوالهم التي دل عليها الكتاب والسنة، ويعرفون بنور الإيمان والقرآن وبحقائق الإيمان الباطنة وشرائع الإسلام الظاهرة، مثال ذلك أن هذه الأمور المذكورة وأمثالها قد توجد في أشخاص ويكون أحدهم لا يتوضأ ولا يصلي الصلوات المكتوبة، بل يكون ملابسا للنجاسات معاشرا للكلاب يأوي إلى الحمامات والقمامين والمقابر والمزابل رائحته خبيثة لا يتطهر الطهارة الشرعية ولا يتنظف، وقد قال النبي ﷺ: «**لا تدخل الملائكة بيتا فيه جنب ولا كلب**» [(١)]، وقال عن هذه الأخلية: «**إن هذه الحشوش محتضرة**» [(٢)]

(١) **حسن لغيره**: أخرجه أحمد (٦٣٢)، وأبو داود (٢٢٧)، وأبو يعلى (٦٢٦)، وابن حبان (١٢٠٥)، والحاكم (١/ ١٧١)، والطيالسي (١١٠)، والدارمي (٢٦٦٣)، والحديث حسن لغيره دون ذكر الجنب وأصل الحديث في الصحيحين البخاري (٣٢٢٥)، ومسلم (٢١٠٦).

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (١٩٢٨٦)، وأبو داود (٦)، وابن ماجه (٢٩٦)، وابن خزيمة (٦٩)، وابن حبان (١٤٠٨)، والحاكم (١/ ١٨٧)، والطبراني (٥١٠٠)، والطيالسي

أي يحضرها الشيطان، وقال: «**من أكل من هاتين الشجرتين الخبيثتين فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم**»[(١)]، وقال: «**إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا**»[(٢)]، وقال: «**إن الله نظيف يحب النظافة**»[(٣)]، وقال: «**خمس من الفواسق يقتلن في الحل والحرم: الحية والفأرة والغراب والحدأة والكلب العقور**»[(٤)]، وفي رواية: «**الحية والعقرب**»[(٥)]، وأمر صلوات الله وسلامه عليه بقتل الكلاب[(٦)]، وقال: «**من اقتنى كلبا لا يغني عنه زرعا ولا ضرعا نقص من عمله كل يوم قيراط**»[(٧)]. وقال: «**لا تصحب الملائكة رفقة معهم كلب**»[(٨)]، وقال: «**إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبع مرات إحداهن بالتراب**»[(٩)]،

= (٦٧٩)، والبيهقي في السنن (١/ ٩٦).

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٨٥٤)، ومسلم (٥٦٤)، وابن أبي شيبة (٢/ ٥١٠)، وأحمد (٣/ ٣٨٠)، وأبو عوانة (١/ ٤١١)، والترمذي (١٨٠٦)، والنسائي (٢/ ٤٣)، وابن خزيمة (١٦٦٥)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٤/ ٢٣٧).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٠١٥)، وأحمد (٢/ ٣٢٨)، والترمذي (٢٩٨٩)، والدارمي (٢/ ٣٠٠).

(٣) **ضعيف**: أخرجه الترمذي (٢٧٩٩)، وابن عدي في «الكنى والألقاب» (٢/ ١٦١)، وعلي القاري في «الأسرار المرفوعة» (١٥٤).

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٨٢٩)، ومسلم (١١٩٨)، والنسائي (٥/ ٢٠٩)، والطبراني في «الأوسط» (٦٠٦)، والبيهقي في السنن (٥/ ٢٠٩)، والخطيب في «تاريخه» (٨/ ٢٧١).

(٥) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٣١٥)، ومسلم (١١٩٨).

(٦) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٣٢٣)، ومسلم (١٢٠٠)، والنسائي (٤٧٩٤).

(٧) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٣٢٥)، ومسلم (١٥٧٤)، وابن أبي شيبة (١٤/ ٢٠٨)، والنسائي (٤٧٩٦)، والطبراني في «الكبير» (١٣١٩٣)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٤/ ٥٥)، والخطيب في «تاريخه» (١٣/ ١٤٩)، والبيهقي في السنن (٦/ ٩).

(٨) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢١١٣)، وأحمد (٢/ ٢٦٢)، وأبو داود (٢٥٥٥)، والترمذي (١٧٠٣)، والدارمي (٢٦٧٦).

(٩) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٧٢)، ومسلم (٢٨٠)، وأحمد (٢٠٥٦٦)، والنسائي (١/ ١٧٧)، وابن ماجه (٣٦٣)، والدارقطني (١/ ٦٥).

وقال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٦، ١٥٧].

علامات أولياء الشيطان

فإذا كان الشخص مباشرا للنجاسات والخبائث التي يحبها الشيطان، أو يأوي إلى الحمامات والحشوش التي تحضرها الشياطين، أو يأكل الحيات والعقارب والزنابير وآذان الكلاب التي هي خبائث وفواسق، أو يشرب البول ونحوه من النجاسات التي يحبها الشيطان، أو يدعو غير الله يستغيث بالمخلوقات ويتوجه إليها، أو يسجد إلى قبر شيخه، ولا يخلص الدين لرب العالمين، أو يلابس الكلاب أو النيران، أو يأوي إلى المزابل والمواضع والنجسة، أو يأوي إلى المقابر ولا سيما إلى مقابر الكفار من اليهود والنصارى أو المشركين، أو يكره سماع القرآن وينفر عنه ويقدم عليه سماع الأغاني والأشعار، ويؤثر سماع مزامير الشيطان على سماع كلام الرحمن، فهذه علامات أولياء الشيطان لا علامات أولياء الرحمن.

الغناء ينبت النفاق

قال ابن مسعود رضي الله عنه: لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن، فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله، وإن كان يبغض القرآن فهو يبغض الله ورسوله. وقال

عثمان ﷺ: لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله ﷻ. وقال ابن مسعود: الذكر ينبت الإيمان في القلب كما ينبت الماء البقل. وإن كان الرجل خبيرا بحقائق الإيمان الباطنة فارقا بين الأحوال الرحمانية والأحوال الشيطانية فيكون قد قذف الله في قلبه من نوره كما قال تعال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ [الحديد: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ ﴾ [الشورى: ٥٢].

اتقوا فراسة المؤمن

فهذا من المؤمنين الذين جاء فيهم الحديث الذي رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «**اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله**» [(١)]، قال الترمذي: حديث حسن، وقد تقدم الحديث الصحيح الذي في البخاري وغيره قال فيه: «**ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها. ورجله التي يمشي بها. فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه. وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس**

---

(١) **ضعيف**: أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٧/ ٣٥٦)، والترمذي (٢٧/ ٣)، والطبراني (٨/ ١٢١)، وابن عدي (٤/ ١٥٢٣)، والعقيلي (٤/ ١٢٩)، وأورده الشوكاني في «الفوائد المجموعة» (٢٤٣)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (١٨٢١)، وقوله: «**اتقوا فراسة المؤمن**»، هو ما يوقعه الله تعالى في قلوب أوليائه فيعلمون بذلك أحوال بعض الناس بنوع من الكرامة وإصابة الظن والحدس «**فإنه ينظر بنور الله**» أي يبصر بعين قلبه المشرق بنور الله تعالى انظر هامش سنن الترمذي بتحقيق الدكتور الذهبي (٥/ ١٤٣).

عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته، ولا بد له منه» [(١)]. فإذا كان العبد من هؤلاء فرق بين حال أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، كما يفرق الصيرفي بين الدرهم الجيد والدرهم الزيف، وكما يفرق من يعرف الخيل بين الفرس الجيد والفرس الرديء، وكما يفرق من يعرف الفروسية بين الشجاع والجبان، وكما أنه يجب الفرق بين النبي الصادق وبين المتنبي الكذاب فيفرق بين محمد الصادق الأمين رسول رب العالمين وموسى والمسيح وغيرهم وبين مسيلمة الكذاب والأسود العنسي وطليحة الأسدي والحارث الدمشقي وباباه الرومي وغيرهم من الكذابين، وكذلك يفرق بين أولياء الله المتقين وأولياء الشيطان الضالين.

فصل الحقيقة هي ما اتفق عليها الأنبياء والمرسلون

والحقيقة حقيقة الدين، دين رب العالمين هي ما اتفق عليها الأنبياء والمرسلون وإن كان لكل منهم شرعة ومنهاج، فالشرعة هي الشريعة قال الله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الجاثية: ١٨، ١٩]، والمنهاج هو الطريق. قال تعالى: ﴿ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الجن: ١٦، ١٧]، فالشرعة بمنزلة الشريعة للنهر والمنهاج هو الطريق الذي سلك فيه، والغاية المقصودة هي حقيقة الدين، وهي عبادة الله وحده لا شريك له، وهي حقيقة دين الإسلام، وهو أن يستسلم العبد لله رب العالمين لا يستسلم لغيره، فمن استسلم لغيره كان مشركا والله لا يغفر أن يشرك به، ومن لم يستسلم لله بل استكبر عن عبادته كان ممن

(١) صحيح: سبق تخريجه (ص ١٥).

قال الله فيه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝ ﴾ [غافر: ٦٠]. ودين الإسلام هو دين الأولين والآخرين من النبيين المرسلين، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، عام في كل زمان ومكان، فنوح وإبراهيم ويعقوب والأسباط وموسى وعيسى والحواريون كلهم دينهم الإسلام الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له، قال الله تعالى عن نوح: ﴿ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝ ﴾ [يونس: ٧١، ٧٢]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝ ﴾ [البقرة: ١٣٠ - ١٣٢]، وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ۝ ﴾ [يونس: ٨٤]، وقال السحرة: ﴿ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ۝ ﴾ [الأعراف: ١٢٦]، وقال يوسف عليه السلام: ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ۝ ﴾ [يوسف: ١٠١]، وقالت بلقيس: ﴿ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾ [النمل: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال الحواريون: ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝ ﴾ [آل عمران: ٥٢].

ودين الأنبياء دين واحد وإن تنوعت شرائعهم، كما في الصحيحين عن النبي ﷺ قال: «**إنا معشر الأنبياء ديننا واحد**»[1]، قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾ [الشورى: ١٣]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٠٣)، ومسلم (٢٣٦٦)، وأحمد (٢/ ٣١٩)، وأبو داود (٤٦٧٥)، والحاكم (٢/ ٥٩٢)، والبغوي في «شرح السنة» (١٣/ ٢٠٠).

إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [المؤمنون: ٥١ – ٥٣]، وقال الله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾ إلى قوله: ﴿ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الروم: ٣٠ - ٣٢].

فصل حقائق الإسلام الظاهرة والباطنة

والله تعالى بعث محمد بشرائع الإسلام الظاهرة وحقائق الإيمان القاطعة، وفي المسند عن النبي ﷺ أنه قال: «**الإسلام علانية والإيمان في القلب**»[١]. وقد ثبت في الصحيح أن جبريل جاء إلى النبي ﷺ فسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان[٢]. إلى بقية الحديث إلى قوله: «**فإنه يراك**». فمن لم يقم بشرائع الإسلام الظاهرة امتنع أن يحصل له حقائق الإيمان الباطنة فإن كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم في الظاهر مؤمنا فمتى حصلت له حقائق الإيمان الباطنة فلابد أن تحصل له حقائق بشرائع الإسلام الظاهرة ولابد أن تحصل له شرائع الإسلام الظاهرة فإن القلب هو الأصل كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب**»[٣]. فإن كان في القلب حقائق الإيمان الباطنة كان

---

(١) **ضعيف**: أخرجه أحمد (٣/ ١٣٥)، وابن أبي شيبة في «الإيمان» (٦)، والبزار في «كشف الأستار» (٢٠)، وأبو يعلى «٢٩٢٣»، وابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٨٥٠)، وأورده الألباني في ضعيف الجامع (٢٢٨٠).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (١)، وأحمد (١٨٥)، وأبو داود (٤٦٩٥)، والترمذي (٢٦١٠)، والنسائي (٤٩٩٠)، وابن حبان (١٧٣).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩)، وأحمد (١٨٣٦٨)، وأبو داود (٣٣٢٩)، والترمذي (١٢٠٥)، وابن حبان (٢٧٢١)، وأبو الشيخ في الأمثال (٢٦٠)، والطبراني في «الأوسط» (٢٢٨٥)، والبيهقي في السنن (٥/ ٣٣٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٣٣٦)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٧٥١).

قد صلح فلابد أن يكون سائر جسده صالحا فإن لم يكن جسده صالحا امتنع أن يكون في باطنه حقائق الإيمان كإخلاص الدين لله وحبه وخشيته والتوكل عليه.

فصل في أن الأنبياء أفضل من الأولياء

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أولياء الله تعالى على أن الأنبياء أفضل من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء. وقد رتب الله عباده السعداء المنعم عليهم أربع مراتب فقال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُولَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [النساء: ٦٩].

المسلمون خير الأمم

وفي الحديث: «**ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد من النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر**»(١). وأفضل الأمم أمة محمد ﷺ قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [فاطر ٣٢]، وقال النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي في المسند: «**أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله**»(٢). وأفضل أمة محمد ﷺ القرن الأول، وقد ثبت عن النبي ﷺ من

(١) **حسن**: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٣٠١)، والخطيب في «تاريخه» (١٢/ ٤٣٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٢٠٨)، وأورده الهندى في «كنز العمال» (٣٢٦٢٢)، وقال أخرجه ابن النجار.

(٢) **حسن**: أخرجه أحمد (١٩٥١١)، والترمذي (٣٠٠١)، وابن ماجه (٤٢٨٧)، والدارمي (٢٧٦٠)، والحاكم (٤/ ٨٤).

غير وجه أنه قال: «**خير القرون القرن الذي بعثت فيه، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»[(١)]. وهذا ثابت في الصحيحين من غير وجه. وفي الصحيحين أيضا عنه ﷺ أنه قال: «**لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**»[(٢)].

والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار من سائر الصحابة، قال تعالى: ﴿ **لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ** ﴾ [الحديد: ١٠]، وقال تعالى: ﴿ **وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ** ﴾ [التوبة: ١٠٠]، والسابقون الأولون هم الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا، والمراد بالفتح صلح الحديبية، فإنه كان أول فتح مكة، وفيه أنزل الله تعالى: ﴿ **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ** ﴾ [الفتح: ١، ٢]، فقالوا: يا رسول الله أوفتح هو؟ قال: «**نعم**»[(٣)].

وأفضل السابقين الأولين الخلفاء الأربعة وأفضلهم أبو بكر ثم عمر، وهذا هو المعروف عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة الأمة وجماهيرها، وقد دلت على ذلك دلائل بسطناها في «**منهاج أهل السنة النبوية في نقض كلام أهل الشيعة والقدرية**».

وبالجملة اتفقت طوائف السنة والشيعة على أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٤)، وأحمد (٧١٢٣)، والطيالسي (٢٥٥٠)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٣٥)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٢٤٦٨).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٦٧٣) تعليقا، ومسلم (٢٥٤٠)، وأحمد (١٠٦٩٥)، وابن أبي شيبة (١٢/ ١٧٤)، والترمذي (٣٨٦١)، وابن ماجه (١٦١)، وابن حبان (٧٢٥٥)، وأبو يعلى (١١٩٨)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٨٥٩)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٩٩٠).

(٣) **حسن**: أخرجه أحمد (٣/ ٤٢٠)، وأبو داود (٢٧٣٦)، والحاكم (٢/ ١٣١).

واحد من الخلفاء، ولا يكون من بعد الصحابة أفضل من الصحابة، وأفضل أولياء الله تعالى أعظمهم معرفة بما جاء به الرسول واتباعا له، كالصحابة الذين هم أكمل الأمة في معرفة دينه واتباعه، وأبو بكر الصديق أكمل معرفة بما جاء به، فهو أفضل أولياء الله إذ كانت أمة محمد ﷺ أفضل الأمم، وأفضلها أصحاب محمد ﷺ، وأفضلهم أبو بكر رضي الله عنه.

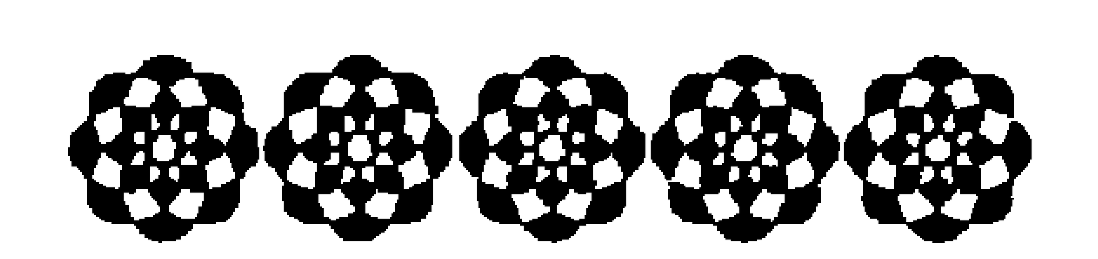
وقد ظن طائفة غالطة أن خاتم الأولياء يكون أفضل الأولياء قياسا على خاتم الأنبياء ولم يتكلم أحد من المشايخ المتقدمين بخاتم الأولياء إلا محمد بن علي الحكيم الترمذي فإنه صنف مصنفا غلط فيه في مواضع. ثم صار طائفة من المتأخرين يزعم كل واحد منهم أنه خاتم الأولياء، ومنهم من يدعي أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء من جهة العلم بالله، وأن الأنبياء يستفيدون العلم بالله من جهته كما يزعم ذلك ابن عربي صاحب كتاب «**الفتوحات المكية**»، وكتاب «**الفصوص**»، فخالف الشرع والعقل مع مخالفة جميع أنبياء الله تعالى وأوليائه، كما يقال لمن قال: فخر عليهم السقف من تحتهم، لا عقل ولا قرآن. وذلك أن الأنبياء أسبق في الزمان من أولياء هذه الأمة، والأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام أفضل من الأولياء، فكيف الأنبياء كلهم، والأولياء إنما يستفيدون معرفة الله ممن يأتي بعدهم ويدعي أنه خاتم الأولياء، وليس آخر الأولياء أفضلهم كما أن آخر الأنبياء أفضلهم، فإن فضل محمد ﷺ ثبت بالنصوص الدالة على ذلك كقوله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**»[1]. وقوله: «**آتي باب الجنة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد. فيقول: بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك**»[2]. وليلة المعراج رفع الله درجته فوق الأنبياء كلهم فكان أحقهم بقوله تعالى: ﴿ **تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ** ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، إلى غير ذلك من الدلائل [والأنبياء]

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٤٧٦)، ومسلم (١٩٣)، وأحمد (٢٥٤٦)، وابن أبي شيبة (١٤/ ١٣٥)، والترمذي (٣١٤٨)، وأبو يعلى (٢٣٢٨)، والطيالسي (٢٧١١)، والبيهقي في «الدلائل» (٥/ ٤٨).

(٢) **صحيح**: سبق تخريجه (ص ١٨).

كل منهم يأتيه الوحي من الله لا سيما محمد ﷺ لم يكن في نبوته محتاجا إلى غيره، فلم تحتج شريعته إلى سابق ولا إلى لاحق، بخلاف [غيره فإن] المسيح أحالهم في أكثر الشريعة على التوراة، وجاء المسيح فكملها، ولهذا كان النصارى محتاجين إلى النبوات المتقدمة على المسيح كالتوراة والزبور وتمام الأربع وعشرين نبوة. وكان الأمم قبلنا محتاجين إلى محدثين بخلاف أمة محمد ﷺ فإن الله أغناهم به فلم يحتاجوا معه إلى نبي ولا إلى محدث، بل جمع له من الفضائل والمعارف والأعمال الصالحة ما فرقه في غيره من الأنبياء، فكان ما فضله الله به من الله بما أنزله إليه لا بتوسط بشر، وهذا بخلاف الأولياء فإن كل من بلغه رسالة محمد ﷺ لا يكون وليا لله إلا باتباع محمد ﷺ، وكل ما حصل له من الهدى ودين الحق هو بتوسط محمد ﷺ، وكذلك من بلغه رسالة رسول الله إليه لا يكون وليا لله إلا إذا اتبع ذلك الرسول الذي أرسل إليه، ومن ادعى أن من الأولياء الذين بلغتهم رسالة محمد ﷺ من له طريق إلى الله لا يحتاج فيه إلى محمد فهذا كافر ملحد، وإذا قال أنا محتاج إلى محمد في علم الظاهر دون علم الباطن، أو في علم الحقيقة، فهو شر من اليهود والنصارى الذين قالوا إن محمدا رسول إلى الأميين دون أهل الكتاب، فإن أولئك آمنوا ببعض وكفروا ببعض فكانوا كفارا بذلك، وكذلك هذا الذي يقول: إن محمدا بعث بعلم الظاهر دون علم الباطن، آمن ببعض ما جاء به وكفر ببعض فهو كافر، وهو أكفر من أولئك لأن علم الباطن الذي هو علم إيمان القلوب ومعارفها وأحوالها هو علم بحقائق الإيمان الباطنة، وهذا أشرف من العلم بمجرد أعمال الإسلام الظاهرة، فإذا ادعي المدعي أن محمدا ﷺ إنما علم هذه الأمور الظاهرة دون حقائق الإيمان، وأنه لا يأخذ هذه الحقائق عن الكتاب والسنة، فقد ادعى أن بعض الذي آمن به مما جاء به الرسول دون البعض الآخر، وهذا شر ممن يقول أؤمن ببعض وأكفر ببعض، ولا يدعي أن هذا البعض الذي آمن به أدنى القسمين.



ضلال من يفضلون الولاية على النبوة

وهؤلاء الملاحدة يدعون أن الولاية أفضل من النبوة، ويلبسون على الناس فيقولون ولايته أفضل من نبوته وينشدون:

مقــــام النــــبوة في بــــرزخ فويــــق الرســـول ودون الـــولي

ويقولون: نحن شاركناه في ولايته التي هي أعظم من رسالته، وهذا من أعظم ضلالهم، فإن ولاية محمد لم يماثله فيها أحد، لا إبراهيم ولا موسى [ولا عيسى] فضلا عن أن يماثله فيها هؤلاء الملحدون، وكل رسول نبي ولي، فالرسول نبي ولي ورسالته متضمنة لنبوته ونبوته متضمنة لولايته، فكيف يكون ولايته الداخلة في نبوته أفضل من نبوته المتضمنة لولايته وإذا قدروا مجرد إنباء الله إياه بدون ولايته لله فهذا تقدير ممتنع، فإنه حال إنبائه إياه ممتنع أن يكون إلا وليا لله، ولا تكون مجردة عن ولايته ولو قدرت مجردة لم يكن أحد مماثلا للرسول في ولايته وهؤلاء قد يقولون كما يقول صاحب «**الفصوص**» ابن عربي: إنهم يأخذون من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحي به إلى الرسول، وذلك أنهم اعتقدوا عقيدة المتفلسفة، ثم أخرجوها في قالب المكاشفة، وذلك أن المتفلسفة الذين قالوا: إن الأفلاك قديمة أزلية لها علة تتشبه بها كما يقوله أرسطو وأتباعه، أو لها موجب بذاته كما يقوله متأخروهم كابن سينا وأمثاله، ولا يقولون أن الرب خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ولا خلق الأشياء بمشيئته وقدرته، ولا يعلم الجزئيات. بل إما أن ينكروا علمه مطلقا كقول أرسطو، أو يقولوا إنما يعلم في الأمور المتغيرة كلياتها كما يقوله ابن سينا، وحقيقة هذا القول إنكار علمه بها، فإن كل موجود في الخارج فهو معين جزئي: الأفلاك كل معين جزئي، وكذلك جميع الأعيان وصفاتها وأفعالها، فمن لم يعلم إلا الكليات لم يعلم شيئا من الموجدات، والكليات إنما توجد كليات في الأذهان لا في الأعيان، والكلام على هؤلاء مبسوط في موضع آخر في «**رد تعارض العقل والنقل**»، وغيره.

تخليط المتفلسفة

فإن كفر هؤلاء أعظم من كفر اليهود والنصارى بل ومشركي العرب، جميع هؤلاء يقولون: إن الله خلق السماوات والأرض، وأنه خلق المخلوقات بمشيئته وقدرته، وأرسطو ونحوه من المتفلسفة واليونان كانوا يعبدون الكواكب والأصنام، وهم لا يعرفون الملائكة والأنبياء، وليس في كتب أرسطو ذكر شيء من ذلك، وإنما غالب علوم القوم الأمور الطبيعية، وأما الأمور الإلهية فكل منهم فيها قليل الصواب كثير الخطأ، واليهود والنصارى – بعد النسخ والتبديل – أعلم بالإلهيات منهم بكثير، ولكن متأخروهم كابن سينا أرادوا أن يلفقوا بين كلام أولئك وبين ما جاءت به الرسل، فأخذوا أشياء من [بعض] أصول الجهمية والمعتزلة وركبوا [منه ومن قول أولئك مذهبا قد يعتزي إليه متفلسفة أهل الملل، وفيها من الفساد والتناقض ما قد نبهنا على بعضه في غير هذا الموضع، وهؤلاء لما رأوا أن أمر الرسل – كموسى وعيسى ومحمد ﷺ – قد بهر العالم، واعترفوا بالناموس الذي بعث به محمد ﷺ أعظم «ناموس» طرق العالم، ووجدوا الأنبياء قد ذكروا الملائكة والجن، أرادوا أن يجمعوا بين ذلك وبين أقوال سلفهم اليونان الذين هم [من] بعد الخلق عن معرفة الله وملائكته وكتبه ورسله «واليوم الآخر»، وأولئك قد أثبتوا عقولا عشرة يسموها «المجردات والمفارقات» وأصل ذلك مأخوذ من مفارقة النفس للبدن فسموا تلك «المفارقات» لمفارقتها المادة وتجردها عنها وأثبتوا الأفلاك لكل فلك نفسا وأكثرهم جعلوها أعراضا وبعضهم جعلها جواهر وهذه المجردات التي أثبتوها ترجع عند التحقيق إلى أمور موجودة في الأذهان لا في الأعيان [كما أثبت أصحاب فيثاغورث أعدادا مجردة]، كما أثبت أصحاب أفلاطون الأمثال الأفلاطونية المجردة أثبتوا هيولي مجردة عن الصورة، ومدة وخلاء مجردين، وقد اعترف حذاقهم بأن ذلك إنما يتحقق في الأذهان لا في الأعيان، فلما أراد هؤلاء المتأخرون منهم – كابن سينا – أن يثبت أمر النبوات على أصولهم الفاسدة، زعموا أن النبوة لها خصائص ثلاثة من أتصف بها فهو نبي: أن تكون له

تخيلية له ما يعقل في نفسه بحيث يرى في نفسه صورًا أو يسمع في نفسه أصواتًا كما يراه النائم ويسمعه ولا يكون لها وجود في الخارج، وزعموا أن تلك الصور هي ملائكة الله، وتلك الأصوات هي كلام الله تعالى. وأن يكون له قوة فعالة .يؤثر بها في هيولي العالم، وجعلوا معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء وخوارق السحرة هي قوى أنفس، فأقروا من ذلك بما يوافق أصولهم [دون] قلب العصا حية، دون انشقاق القمر ونحو ذلك فإنهم ينكرون وجود هذا، وقد بسطنا الكلام على هؤلاء في مواضع، وبينا أن كلامهم هذا [من] أفسد الكلام، وأن هذا الذي جعلوه خصائص النبي] ما هو أعظم منه لآحاد العامة كل الأنبياء، وأن الملائكة التي أخبرت بها الرسل أحياء ناطقون أعظم مخلوقات الله، وهم كثيرون كما قال تعالى: ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ** ﴾ [المدثر: ٣١]، وليسوا عشرة، وليسوا أعراضًا، لاسيما هؤلاء يزعمون أن الصادر الأول هو العقل الأول، وعنه صدر كل [ما سواه]، والعقل الفعال العاشر رب كل ما تحت فلك الغمر، وهذا [مما] يعلم فساده بالاضطرار من دين الرسل، فليس أحد من [الملائكة عند الرسل وأتباعهم] مبدع لكل ما سوى الله، وهؤلاء يزعمون أن العقل المذكور في حديث يروى: « **إن أول ما خلق الله العقل، فقال له أقبل فأقبل، فقال له أدبر فأدبر، فقال: وعزتي ما خلقت خلقًا أكرم عليّ منك، فبك آخذ، وبك أعطي، ولك الثواب وعليك العقاب** »[1]. ويسمونه أيضًا القلم، لما روى: « **إن أول ما خلق الله القلم** »[2]. الحديث رواه الترمذي. والحديث الذي ذكروه في العقل كذب

---

(١) **موضوع**: أخرجه الطبراني في « الكبير » (٨٠٨٦)، وأبو نعيم في « الحلية » (٧/ ١٨)، وقال الهيثمي في « المجمع » (٨/ ٣١)، رواه الطبراني في « الكبير، والأوسط » وفيه عمر بن أبي صالح قال الذهبي لا يعرف. قال ابن حجر في المطالب العالية (٣/ ١٣)، ومن كتاب العقل لداود بن المحبر أودعها الحارث بن أبي أسامة في مسنده وهي موضوعة كلها لا يثبت منها شيء.

(٢) **حسن**: أخرجه أحمد (٢٢٧٠٧)، وابن أبي شيبة (١٤/ ١١٤)، وأبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٢١٥٥)، وابن أبي عاصم في « السنة » (١٠٧)، وأبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٤٨)، والآجرى في « الشريعة » (٨٣/ ٨٤)، والبيهقي « ١٠/ ٢٠٤)، وابن عدي (٦/ ٢٧٣)، وأوده الألباني في « الصحيحة » برقم (١٣٣)، قلت هذا الحديث يرد على بعض الجهلة الذين يقولون أن أولَ ما خُلِقَ النبي ويستدلون بذلك بأحاديث

موضوع عند أهل المعرفة بالحديث كما ذكر ذلك أبو حاتم البستي والدارقطني وابن الجوزي وغيرهم، وليس في شيء من دواوين الحديث التي يعتمد عليها، ومع هذا فلفظة لو كان ثابتا حجة عليهم، فإن لفظة: «**أول ما خلق الله تعالى العقل قال له**»، ويروى: «**لما خلق الله العقل قال له**»، فمعنى الحديث أنه خاطبه في أول أوقات خلقه، ليس معناه أنه أول المخلوقات، وأول منصوب على الظرف كما في اللفظ الآخر: «**لما**» وتمام الحديث: «**ما خلقت خلقا أكرم علي منك**» فهذا يقتضي أنه خلق قبله غيره، ثم قال: «**فبك آخذ وبك أعطي ولك الثواب وعليك العقاب**»، فذكر أربعة أنواع من الأعراض، وعندهم أن جميع جواهر العالم العلوي والسفلي صدر عن ذلك العقل، فأين هذا من هذا؟ وسبب غلطهم أن لفظ «**العقل**» في لغة المسلمين ليس هو لفظ العقل في لغة هؤلاء اليونان، فإن العقل في لغة المسلمين مصدر عقل عقلا كما في القرآن: ﴿ **وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ** ﴿١٠﴾ ﴾ [الملك: ١٠]، ﴿ **إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴿٤﴾ ﴾ [الرعد: ٤]، ﴿ **أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا** ﴾ [الحج: ٤٦]، ويراد بالعقل الغريزة التي جعلها الله تعالى في الإنسان يعقل بها. وأما أولئك فالعقل عندهم جوهر قائم بنفسه كالعاقل، وليس هذا مطابقا للغة الرسل والقرآن، وعالم الخلق عندهم – كما يذكره أبو حامد – عالم الأجسام [فأما العقول]، والنفوس فيسميها عالم الأمر، وقد يسمى العقل عالم الجبروت، والنفوس عالم الملكوت، والأجسام عالم الملك. ويظن من لم يعرف لغة الرسل ولم يعرف معنى الكتاب والسنة أن ما في الكتاب والسنة من ذكر الملك والملكوت والجبروت موافق لهذا، وليس الأمر كذلك. وهؤلاء يلبسون على المسلمين تلبيسا كثيرا كإطلاقهم أن الفلك محدث أي معلول، مع أنه قديم عندهم، والمحدث لا يكون إلا مسبوقا بالعدم، ليس في لغة العرب ولا في لغة أحد أنه يسمى القديم الأزلي محدثا، والله قد أخبر أنه خالق كل شيء، وكل مخلوق فهو محدث، وكل محدث كائن بعد أن لم يكن، لكن

= (٦/ ٢٧٣)، وأوده الألباني في «الصحيحة» برقم (١٣٣)، قلت هذا الحديث يرد على بعض الجهلة الذين يقولون أن أول ما خلق النبي ويستدلون بذلك بأحاديث ضعيفة وموضوعة فإلى الله المشتكى.

ناظرهم أهل الكلام من الجهمية والمعتزلة مناظرة قاصرة لم يعرفوا بها ما أخبر به الرسول، ولا أحكموا فيها قضايا العقول، فلا للإسلام نصروا، ولا للأعداء كسروا، وشاركوا أولئك في بعض قضاياهم الفاسدة، ونازعوهم في بعض المعقولات الصحيحة، فصار قصور هؤلاء في العلوم السمعية والعقلية من أسباب قوة ضلال أولئك كما قد بسط في غير هذا الموضع.

وهؤلاء المتفلسفة قد يجعلوان جبريل هو الخيال الذي يتشكل في نفس النبي ﷺ والخيال تابع للعقل، فجاء الملاحدة الذين شاركوا هؤلاء الملاحدة المتفلسفة وزعموا أنهم أولياء الله وأن أولياء الله أفضل من أنبياء الله وأنهم يأخذون عن الله بلا واسطة كابن عربي صاحب «**الفتوحات**»، و«**الفصوص**» فقال: إنه يأخذ من المعدن الذي أخذ منه الملك الذي يوحي به إلى الرسول، والمعدن عنده هو العقل، والملك هو الخيال، والخيال تابع للعقل، وهو بزعمه يأخذ عن الذي هو أصل الخيال والرسول يأخذ عن الخيال، فلهذا صار عند نفسه فوق النبي، ولو كان خاصة النبي ما ذكروه لم يكن هو من جنسه فضلا عن أن يكون فوقه، فكيف وما ذكروه يحصل لآحاد المؤمنين، والنبوة أمر وراء ذلك.

ابن عربي وأمثاله من صوفية الملاحدة الفلاسفة

فإن ابن عربي وأمثاله وإن ادعوا أنهم من الصوفية فهم من صوفية الملاحدة الفلاسفة، ليسوا من صوفية أهل [الكلام]، فضلا عن أن يكونوا من مشايخ أهل الكتاب والسنة كالفضيل بن عياض وإبراهيم بن أدهم وأبي سليمان الداراني ومعروف الكرخي والجنيد بن محمد وسهل بن عبد الله التستري فإن هؤلاء وأمثالهم رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، [فإن هؤلاء وأمثالهم من صالح المؤمنين بريئون من أقوال الملاحدة ولهذا كان ابن عربي في كتاب تجلياته الذي تجليه له الشيطان ينتقص بهؤلاء ويذمهم وينكر على الجنيد سيد الطائفة وأمثاله التوحيد الذي اتفق عليه المسلمون واليهود والنصارى وغيرهم من تمييز الرب عن العبد وتمييز العبد عن المخلوق].

وصف الملائكة في القرآن

والله ﷻ قد وصف الملائكة في كتابه بصفات تباين قول هؤلاء كقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٦ – ٢٩]، وقال تعالى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النجم: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ۚ ﴾ [سبأ: ٢٢، ٢٣]، وقال تعالى: ﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٩، ٢٠]، وقد أخبر أن الملائكة جاءت لإبراهيم عليه السلام في صورة البشر، وأن الملك تمثل لمريم بشرا سويا، وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي وفي صورة أعرابي ويراهم الناس كذلك، وقد وصف الله تعالى جبريل عليه السلام بأنه: ﴿ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [التكوير: ٢٠، ٢١]، وأن محمدا ﷺ رآه بالأفق الأعلى: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾ [النجم: ٨ – ١٨]. وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه لم ير جبريل في صورته التي خلق عليها غير مرتين، يعني المرة الأولى

بالأفق الأعلى والنزلة الأخرى عند سدرة المنتهى[١]. ووصف جبريل ﷺ في موضع آخر بأنه الروح الأمين وأنه روح القدس، إلى غير ذلك من الصفات التي تبين أنه من أعظم مخلوقات الله تعالى الأحياء العقلاء، وأنه جوهر قائم بنفسه، ليس خيالا في نفس النبي كما زعم هؤلاء الملاحدة المتفلسفة، والمدعون ولاية الله، وأنهم أعلم من الأنبياء.

مدعو الولاية ووحدة الوجود

وغاية حقيقة هؤلاء إنكار أصول الإيمان بأن يؤمن الإنسان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وحقيقة أمرهم جحد الخالق، فإنهم جعلوا وجود المخلوق هو وجود الخالق وقالوا: الوجود واحد، ولم يميزوا بين الواحد بالعين والواحد بالنوع، فإن الموجودات تشترك في مسمى الوجود كما تشترك الأناسي في مسمى الإنسان والحيوانات في مسمى الحيوان، ولكن هذا المشترك الكلي لا يكون مشتركا كليا إلا في الذهن، وإلا فالحيوانية القائمة بهذا الإنسان ليست هي الحيوانية القائمة بالفرس، ووجود السماوات ليس هو بعينه وجود الإنسان، فوجود الخالق جل جلاله ليس هو كوجود مخلوقات، وحقيقة قولهم قول فرعون الذي عطل الصانع، فإنه لم يكن منكرا هذا الوجود المشهود، لكن زعم أنه موجود بنفسه لا صانع له، وهؤلاء وافقوه في ذلك لكن زعموا بأنه هو الله، فكانوا أضل منه، وإن كان قوله هذا هو أظهر فسادا منهم، ولهذا جعلوا عباد الأصنام ما عبدوا إلا الله، وقالوا: لما كان فرعون في منصب التحكم صاحب السيف وإن جار في العرف الناموسي، لذلك قال أنا ربكم الأعلى، أي وإن كان الكل أربابا بنسبة ما فأنا الأعلى منكم بما أعطيته في الظاهر من الحكم فيكم. قالوا: ولما علمت السحرة صدق فرعون فيما قاله أقروا له بذلك وقالوا: ﴿ فَاقْضِ مَا أَنتَ

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٨٥٥)، ومسلم (٢٨٢)، وأحمد (١/ ٤٠٧)، وأبو الشيخ في العظمة (٣٦٧).

قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ [طه: ٧٢] قالوا فصح قول فرعون: ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ [النازعات: ٢٤]، وكان فرعون عين الحق.

ثم أنكروا حقيقة اليوم الآخر فجعلوا أهل النار يتنعمون كما يتنعم أهل الجنة، فصاروا كافرين بالله واليوم الآخر وبملائكته وكتبه ورسله مع دعواهم أنهم خلاصة خاصة الخاصة من أهل الله، وأنهم أفضل من الأنبياء، وأن الأنبياء إنما يعرفون الله من مشكاتهم. وليس هذا موضع بسط بيان إلحاد هؤلاء، ولكن لما كان الكلام في أولياء الله والفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، وكان هؤلاء من أعظم الناس ادعاء لولاية الله وهم من أعظم الناس ولاية للشيطان. نبهنا على ذلك. ولهذا عامة كلامهم إنما هو في الحالات الشيطانية، ويقولون ما قاله صاحب «**الفتوحات**» (باب أرض الحقيقة)، ويقولون هي أرض الخيال، فتعرف بأن الحقيقة التي يتكلم فيها هي خيال، و[الخيال] محل تصرف الشيطان، فإن الشيطان يخيل للإنسان الأمور بخلاف ما هي، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الزخرف: ٣٦ – ٣٩]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾ إلى قوله: ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ ﴾ [النساء: ١١٦ – ١٢٠]، وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ۖ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ۚ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الأنفال: ٤٨]، وقد روى

عن النبي ﷺ في الحديث الصحيح أنه رأى جبريل يزع الملائكة(١). والشياطين إذا رأت ملائكة الله التي يؤيد بها عباده هربت منهم، والله يؤيد عباده المؤمنين بملائكته، قال تعالى: ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [الأنفال: ١٢]، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ﴾[الأحزاب: ٩]، وقال تعالى: ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا ﴾ [التوبة: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٢٤، ١٢٥].

الاتصال بالأرواح الشيطانية

وهؤلاء تأتيهم أرواح تخاطبهم وتتمثل لهم، وهي جن وشياطين، فيظنونها ملائكة، كالأرواح التي تخاطب من يعبد الكواكب والأصنام. وكان من أول من ظهر من هؤلاء في الإسلام المختار بن أبي عبيد [الثقفي] الذي أخبر به النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ أنه قال: «**سيكون في ثقيف كذاب ومبير**»(٢)، وكان الكذاب المختار بن أبي عبيد والمبير الحجاج بن يوسف الثقفي، فقيل لابن عمر وابن عباس: إن المختار يزعم أنه ينزل إليه، فقالا: صدق، قال الله تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ [الشعراء: ٢٢١، ٢٢٢]، وقال الآخر — وقيل

---

(١) **ضعيف**: أخرجه مالك في الموطأ (ص ٣٣٦) مرسلا وقال محققه الشيخ محمد عبد الباقي وقد وصله الحاكم في المستدرك عن أبي الدرداء. وأخرجه البغوي في «شرح السنة» (٧/ ١٥٨).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٥٤٥).

له: إن المختار يزعم أنه يوحي إليه فقال: صدق. قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَـٰدِلُوكُمۡ ﴾ [الأنعام: ١٢١].

مناقشة ابن تيمية للاحدة الصوفية

ومن هذه الأرواح الشيطانية هي الروح الذي يزعم صاحب «**الفتوحات**» أنه ألقى إليه ذلك الكتاب، ولهذا يذكر أنواعا من الخلوات بطعام معين وشيء معين، وهذه مما تفتح لصاحبها اتصالا بالجن والشياطين فيظنون ذلك من كرامات الأولياء وإنما هو من الأحوال الشيطانية، وأعرف من هؤلاء عددا، ومنهم من كان يحمل في الهواء إلى مكان بعيد ويعود، ومنهم من كان يؤتى بمال مسروق تسرقه الشياطين وتأتيه به، ومنهم من كانت تدله على السرقات بجعل يحصل له من الناس، أو بعطاء يعطونه إذا دلهم على سرقاتهم ونحو ذلك.

ولما كانت أحوال هؤلاء شيطانية كانوا مناقضين للرسل صلوات الله تعالى وسلامه عليهم، كما يوجد في كلام صاحب «**الفتوحات المكية**»، و«**الفصوص**» أشباه ذلك: يمدح الكفار، مثل قوم نوح وهود وفرعون وغيرهم، وينتقص الأنبياء كنوح وإبراهيم وموسى وهارون [وغيرهم]، ويذم شيوخ المسلمين المحمودين عند المسلمين كالجنيد بن محمد وسهل بن عبد الله التستري [وأمثالهم]، ويمدح المذمومين عند المسلمين كالحلاج ونحوه كما ذكره في تجلياته الخيالية الشيطانية، فإن الجنيد – قدس الله روحه – كان من أئمة الهدى، فسئل عن التوحيد فقال: التوحيد إفراد الحدوث عن القدم، فبين أن التوحيد: أن تميز بين القديم والمحدث وبين الخالق والمخلوق، وصاحب «**الفصوص**» [ذكر] هذا وقال في مخاطبته الخيالية الشيطانية له: يا جنيد، هل يميز بين المحدث والقديم إلا من يكون غيرهما؟ فخطأ الجنيد في قوله: «إفراد الحدوث عن القدم» لأن قوله: إن وجود المحدث هو عين وجود القديم، كما قال في فصوصه: ومن أسمائه الحسنى «**العلي**» على من وما ثم إلا هو؟ وعن ماذا، وما هو إلا هو؟ فعلوه لنفسه وهو عين الموجودات،

فالمسمى محدثات هي العلية لذاته وليست إلا هو – إلى أن قال: هو عين ما بطن، وهو عين ما ظهر، وما ثم من يراه غيره، وما ثم من ينطق عنه سواه، وهو المسمى أبو سعيد الخراز وغيره ذلك من الأسماء المحدثات.

فيقال لهذا الملحد: ليس من شرط المميز بين الشيئين بالعلم والقول أن يكون ثالثا غيرهما، فإن كل واحد من الناس يميز بين نفسه بين و[بين] غيره وليس هو ثالث، فالعبد يعرف أنه عبد ويميز بين نفسه وبين خالقه، والخالق ﷻ يميز بين نفسه وبين مخلوقاته، ويعلم أنه ربهم وأنهم عباده، كما نطق بذلك القرآن في غير موضع، والاستشهاد بالقرآن عند المؤمنين الذين يقرون به باطنا وظاهرا، وأما هؤلاء الملاحدة فيزعمون ما كان يزعمه التلمساني منهم وهو أحذقهم في اتحادهم لما قرئ على الفصوص فقيل له: القرآن يخالف فصوصكم، فقال: القرآن كله شرك، [وأما] التوحيد في كلامنا فقيل له: فإن كان الوجود واحدا فلم كانت الزوجة حلالا والأخت حراما؟ فقال: الكل عندنا حلال، ولكن هؤلاء المحجوبون قالوا حرام، فقلنا حرام عليكم. وهذا مع كفره العظيم متناقض ظاهرا، فإن الوجود إذا كان واحدا فمن المحجوب ومن الحاجب؟ ولهذا قال بعض شيوخهم لمريده: من قال لك إن في الكون سوى الله فقد كذب، فقال له مريده: فمن هو الذي يكذب؟ وقالوا لآخر: هذه مظاهر. فقال لهم: المظاهر غير المظاهر، أم هي؟ فإن كانت غيرها فقد قلتم بالثنية، وإن كانت إياها فلا فرق، وقد بسطنا الكلام على كشف أسرار هؤلاء في موضع آخر، وبينا حقيقة قول كل واحد منهم، وأن صاحب «**الفصوص**» يقول: المعدوم شيء ووجود الحق منه، فإن أولئك قالوا: إن الرب خلق هذه الأشياء الثابتة في العدم وجودا ليس هو وجود الرب، وهذا زعم أن عين وجود الرب فاض عليه، فليس عنده وجود مخلوق مباين لوجود الخالق. وصاحبه الصدر القونوي يفرق بين المطلق والمعين، لأنه كان أقرب إلي الفلسفة فلم يقر بأن المعدوم شيء، لكن جعل الحق هو الوجود المطلق، وصنف «**مفتاح غيب الجميع والوجود**»، وهذا القول أدخل في تعطيل الخالق وعدمه، فإن المطلق بشرط الإطلاق وهو الكلي العقلي لا يكون إلا في الأذهان لا في الأعيان، والمطلق لا بشرط وهو الكلي الطبيعي، وإن قيل إنه موجود في الخارج فلا يوجد في الخارج إلا معينا، وهو جزء من المعين عند من يقول بثبوته في

الخارج، فيلزم أن يكون وجود الرب إما منتفيا في الخارج وإما أن يكون جزءا من وجود المخلوقات، وإما أن يكون عين وجود المخلوقات، وهل يخلق الجزء الكل؟ أم يخلق الشيء نفسه؟ أم العدم يخلق الوجود؟ أو يكون بعض الشيء خالقا لجميعه؟

وهؤلاء يفرون من لفظ «**الحلول**» لأنه يقتضي حالا ومحلا، ومن لفظ «**الاتحاد**» لأنه يقتضي شيئين اتحد أحدهما بالآخر. وعندهم الوجود واحد، ويقولون: النصارى إنما كفروا لما خصصوا المسيح بأنه هو الله، ولو عمموا لما كفروا. وكذلك يقولون في عباد الأصنام إنما أخطأوا لما عبدوا بعض المظاهر دون بعض، فلو عبدوا الجميع لما أخطأوا عندهم والعارف المحقق عندهم لا يضره عبادة الأصنام. وهذا مع ما فيه من الكفر العظيم ففيه ما يلزمهم دائما من التناقض، لأنه يقال لهم: فمن المخطئ؟ لكنهم يقولون: إن الرب هو الموصوف بجميع النقائص التي يوصف بها المخلوق، ويقولون: إن المخلوقات توصف بجميع الكمالات التي يوصف بها الخالق، ويقولون ما قاله صاحب «**الفصوص**»: فالعلي لنفسه هو الذي يكون له الكمال الذي يستوعب به جميع النعوت الوجودية والنسب العدمية، سواء كانت محمودة عرفا أو عقلا أو شرعا أو مذمومة عرفا وعقلا وشرعا، وليس ذلك إلا لمسمى الله خاصة. وهم مع كفرهم هذا لا يندفع عنهم التناقض، فإنه معلوم بالحس والعقل أن هذا ليس هو ذاك، وهؤلاء يقولون ما كان يقوله التلمساني: إنه ثبت عندنا في الكشف ما يناقض صريح العقل. ويقولون: من أراد التحقيق — يعني تحقيقهم — فليترك العقل والشرع. وقد قلت لمن خاطبته منهم، ومعلوم أن كشف الأنبياء أعظم وأتم من كشف غيرهم، وخبرهم أصدق من خبر غيرهم، والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يخبرون بما تعجز عقول الناس عن معرفته لا بما يعرف الناس بعقولهم أنه ممتنع، فيخبرون بمجازات العقول لا بمحالات العقول، ويمتنع أن يكون في أخبار الرسول ما يناقض صريح العقول، ويمتنع أن يتعارض دليلان قطعيان سواء كانا عقليين أو سمعيين أو كان أحدهما عقليا والآخر سمعيا، فكيف بمن ادعى كشفا يناقض [صريح] الشرع والعقل؟ وهؤلاء قد لا يتعمدون الكذب، لكن تخيل لهم أشياء تكون في نفوسهم ويظنونها في الخارج، وأشياء يرونها تكون موجودة في الخارج لكن يظنونها من كرامات

الصالحين، وتكون من تلبيسات الشياطين.

وهؤلاء الذين يقولون بالوحدة قد يقدمون الأولياء على الأنبياء، [ويدعون] أن النبوة لم تنقطع كما يذكر عن ابن سبعين [ونحوه]، ويجعلون المراتب ثلاثة: يقولون العبد يشهد أولا طاعة ومعصية، ثم طاعة بلا معصية، ثم لا طاعة ولا معصية. والشهود الأول هو الشهود الصحيح، وهو الفرق بين الطاعات والمعاصي، وأما الشهود الإرادة التي هي المشيئة، والخلق كلهم داخلون تحت حكم المشيئة، ويقول شاعرهم:

أصبحت منفعلا لما تختاره مني، ففعلي كله طاعات

ومعلوم أن هذا خلاف ما أرسل الله به رسله وأنزل به كتبه، فإن المعصية التي يستحق صاحبها الذم والعقاب مخالفة أمر الله ورسوله، كما قال تعالى: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [النساء: ١٣، ١٤].

وسنذكر الفرق بين الإرادة الكونية والدينية، والأمر الكوني والديني، وكانت هذه المسألة قد اشتبهت على طائفة من الصوفية فبينها الجنيد رحمه الله لهم، ومن اتبع الجنيد فيها كان على السداد، ومن خالفه ضل، [فإنهم] تكلموا بأن الأمور كلها بمشيئة الله وقدرته وفي شهود التوحيد، وهذا يسمونه الجمع الأول، فبين لهم الجنيد أنه لابد من شهود الفرق الثاني، وهو أنه مع شهود كون الأشياء كلها مشتركة في مشيئة الله وقدرته وخلقه يجب الفرق بين ما يأمر به ويحبه ويرضاه، وبين ما ينهى عنه ويكرهه ويسخطه، ويفرق بين أوليائه وأعدائه، كما قال تعالى: ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [القلم: ٣٥، ٣٦]، وقال تعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾ [ص: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الجاثية: ٢١]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِيٓءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [غافر: ٥٨]، ولهذا كان مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الله خالق كل شيء وربه ومليكه، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، لا رب غيره، وهو مع ذلك أمر بالطاعة ونهى عن المعصية، وهو لا يحب الفساد، ولا يرضى لعباده الكفر ولا يأمر بالفحشاء، وإن كانت واقعة بمشيئته فهو لا يحبها ولا يرضاها، بل يبغضها ويذم أهلها ويعاقبهم.

وأما المرتبة الثالثة أن لا يشهد طاعة ولا معصية، فإنه يرى أن الوجود واحد، وعندهم أن هذا هو غاية التحقيق والولاية لله، وهو في الحقيقة غاية الإلحاد في أسماء الله وآياته، وغاية العداوة لله. فإن صاحب هذا المشهد يتخذ اليهود والنصارى وسائر الكفار أولياء، وقد قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [المائدة: ٥١]، ولا يتبرأ من الشرك والأوثان فيخرج عن ملة إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه قال الله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة: ٤]، وقال الخليل عليه السلام لقومه المشركين: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الشعراء: ٧٥ - ٧٧]، وقال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وهؤلاء صنف بعضهم كتبا وقصائد على مذهبه مثل قصيدة ابن الفارض المسماة بنظم السلوك يقول فيها:

لهـا صـلاتي بالمقـام أقـيمها ... وأشـهد فـيها أنهـا لي صـلت

كلانـا مصـل واحـد سـاجد إلى ... حقيقـته بالجمـع في كل شيء سجدتي

ومـا كـان لي صلى سوائي ولم تكن ... صـلاتي لغـيري في أداء كـل ركعـة

إلى أن قال:

وما زلت إياها وإياي لم تزل ... ولا فرق، بل ذاتي لذاتي صلت

إلي رسولا كنت مني مرسلا ... وذاتي بآيائي علي استدلت

فإن دعيت كنت المجيب وإن أكن ... منادي أجابت من دعاني ولبت

إلى أمثال هذا الكلام، ولهذا كان هذا القائل عند الموت ينشد ويقول:

إن كان منزلي في الحب عندكم ... ما قد لقيت فقد ضيعت أيامي

أمنية ظفرت نفسي بها زمنا ... واليوم أحسبها أضغاث أحلام

فإنه كان يظن أنه هو الله، فلما حضرت ملائكة الله لقبض روحه تبين له بطلان ما كان يظنه، و [قد] قال الله تعالى: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ ﴾ [الحديد: ١] فجميع ما في السماوات والأرض يسبح لله ليس هو الله، ثم قال تعالى: ﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الحديد: ٢، ٣]، وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه كان يقول في دعائه: «**اللهم رب السماوات السبع ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى منزل التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عني الدين واغنني من الفقر**»[1]. ثم قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الحديد: ٤] فذكر أن: السماوات

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٢١٢)، ومسلم (٢٧١٣)، وأحمد (٩٢٤٧)، وأبو داود (٥٠٥١)، والترمذي (٤٢٠٠)، وابن خزيمة (١/ ٢٦٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٠٠).

والأرض – وفي موضع آخر وما بينهما – مخلوق مسبح له، وأخبر سبحانه أنه يعلم كل شيء، وأما قوله: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ فلفظ «مع» لا يقتضي في لغة العرب أن يكون أحد الشيئين مختلطا بالآخر كقوله تعالى: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة: ١١٩]، وقوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْ ﴾ [الأنفال: ٧٥]، ولفظة «مع» جاءت في القرآن عامة وخاصة، فالعامة في هذه الآية وفي آية: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ [المجادلة: ٧]، فافتتح الكلام بالعلم وختمه بالعلم، ولهذا قال ابن عباس والضحاك وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل: هو معهم بعلمه. وأما المعية الخاصة ففي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل: ١٢٨]، وقوله لموسى: ﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ [طه: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة: ٤٠] يعني النبي ﷺ وأبا بكر ﷺ، فهو مع موسى وهارون دون فرعون، ومع محمد وصاحبه دون أبي جهل وغيره من أعدائه، ومع الذين اتقوا والذين هم محسنون دون الظالمين المعتدين، فلو كان معنى «المعية» أنه بذاته في كل مكان تناقض الخبر الخاص والخبر العام، بل المعنى أنه مع هؤلاء بنصره وتأييده دون أولئك. وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ [الزخرف: ٨٤] أي هو إله من في السماوات وإله من في الأرض، كما قال تعالى: ﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الروم: ٢٧]، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنعام: ٣] كما فسره أئمة العلم كالإمام أحمد وغيره أنه المعبود في السماوات والأرض. وأجمع سلف الأمة وأئمتها على أن الرب تعالى بائن من مخلوقاته، يوصف بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، يوصف بصفات

الكمال دون صفات النقص، ويعلم أنه ليس كمثله شيء [ولا كقوله شيء من] صفات الكمال، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ [الإخلاص: ١ – ٤] قال ابن عباس: الصمد العليم الذي كمل في علمه، العظيم الذي كمل في عظمته، القدير الكامل في قدرته، الحكيم الكامل في حكمته، السيد الكامل في سؤدده. وقال ابن مسعود وغيره: هو الذي لا جوف له، والأحد الذي لا نظير له. فاسمه الصمد يتضمن اتصافه بصفات الكمال ونفي النقائص عنه، واسمه الأحد يتضمن اتصافه بأنه لا مثل له، وقد بسطنا الكلام على ذلك في تفسير هذه السورة، وفي كونها تعدل ثلث القرآن[1]، والله تعالى أعلم.

فصل في اشتباه الحقائق الأمرية الدينية بالحقائق الخلقية القدرية الكونية

وكثير من الناس تشتبه عليهم الحقائق الأمرية الدينية الإيمانية بالحقائق الخلقية القدرية الكونية، فإن الله ﷻ له الخلق والأمر، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٥٤ ﴾ [الأعراف: ٥٤]. فهو سبحانه خالق كل شيء وربه ومليكه، لا خالق غيره ولا رب سواه، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فكل ما في الوجود من حركة وسكون فبقضائه وقدره ومشيئته وقدرته وخلقه، وهو سبحانه أمر بطاعته وطاعة رسله. ونهى عن معصيته ومعصية رسله، أمر بالتوحيد والإخلاص، ونهى عن الإشراك بالله، فأعظم الحسنات

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٥٥٦)، وأحمد (٥/ ١٤١)، وأبو داود (١٤٦٠)، والترمذي (٢٨٩٦)، والنسائي (٩٩٦)، والدارمي (٣٤٣٧)، ومالك في «الموطأ» (ص ١٨٣).

التوحيد وأعظم السيئات الشرك، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦]، وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وفي السنن المأثورة عن ابن عمر قال: كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد يقول: «**رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم**» مائة مرة، أو قال أكثر من مائة مرة[1]، وقد أمر الله سبحانه أن يختموا الأعمال الصالحة بالاستغفار، فكان النبي ﷺ إذا سلم من الصلاة يستغفر ثلاثًا ويقول: «**اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام**» كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح عنه[2]، وقد قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧] فأمرهم أن يقوموا بالليل ويستغفروا بالأسحار، وكذلك ختم سورة المزمل – وهي سورة قيام الليل – بقوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾ ﴾ [المزمل: ٢٠]، وكذلك قال في الحج: ﴿ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٨، ١٩٩] بل أنزل ﷻ في آخر الأمر لما غزا النبي ﷺ غزوة تبوك وهي آخر غزواته: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ ۚ إِنَّ

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٦١٨)، وأحمد (٤٧٢١)، وأبو داود (١٥١٦)، والترمذي (٣٤٣٤)، وابن ماجه (٣٨١٤)، وابن حبان (٢٤٥٩) موارد، والطبراني في «الكبير» (١٢/ ٤١٦)، والبيهقي (٥/ ١٨٢).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٥٩١)، وابن أبي شيبة (١/ ٣٠٢)، وأبو داود (١٥١٢)، والترمذي (٢٩٨)، وابن ماجه (٩٢٤)، والدارمي (١/ ٣١١)، والطيالسي (٥٥٨)، والبغوي في «شرح السنة» (٧١٣).

ﭐللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ [التوبة: ١١٧، ١١٨]، وهي آخر ما نزل من القرآن. وقد قيل إن آخر سورة نزلت قوله تعالى: ﴿ **إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴿١﴾ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ﴿٢﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴿٣﴾** ﴾ [النصر: ١ - ٣] فأمره الله تعالى أن يختم علمه بالتسبيح والاستغفار. [وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده: «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي**» يتأول القرآن[(١)]. وفي الصحيحين [عن عائشة] عنه ﷺ أنه كان يقول: «**اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني. الله اغفر لي هزلي وجدي، وخطئي وعمدي، وكل ذلك عندي. اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، لا إله إلا أنت**»[(٢)]. وفي الصحيحين أن أبا بكر الصديق ﷺ قال: يا رسول الله، علمني دعاء أدعو به في صلاتي. قال: «**قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا، و[أنه] ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم**»[(٣)]. وفي السنن عن أبي بكر ﷺ قال: يا رسول الله علمني دعاء أدعو به إذا أصبحت وإذا أمسيت، فقال: «**قل اللهم فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه، وأن أقترف على نفسي سوءا أو**

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٩٦٨)، ومسلم (٤٨٤)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (٢٨٧٨)، وأبو عوانة (٢/ ١٨٦)، وأبو داود (٨٧٧)، وابن ماجه (٨٨٩)، وابن خزيمة (٦٠٥)، والبيهقي في (٢/ ١٠٩)، والبغوي في «شرح السنة» (٦١٨)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/ ٢٣٤).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٣٩٨)، ومسلم (٧٧١)، وأحمد (٥٣١)، وأبو عوانة (٢/ ٢٣٥)، والترمذي (٣٤٢١)، والبيهقي (٢/ ٣٢)، والبغوي في «شرح السنة» (٥٧٢).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٨٣٤)، ومسلم (٢٧٠٥)، والنسائي (١٣٠٢)، والترمذي (٣٥٣١)، وابن خزيمة (٨٤٦)، والبيهقي (٢/ ١٥٤)، والبغوي في «شرح السنة» (٣/ ٢٠٢).

أجره إلى مسلم. قله إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك» [(١)].

فليس لأحد أن يظن استغناءه عن التوبة إلى الله والاستغفار من الذنوب، بل كل أحد محتاج إلى ذلك دائما، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ **وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾** ﴾ [الأحزاب: ٧٢، ٧٣]. فالإنسان ظالم جاهل، وغاية المؤمنين والمؤمنات التوبة. وقد أخبر الله تعالى في كتابه بتوبة عباده الصالحين ومغفرته لهم. وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**لن يدخل الجنة أحد بعمله**». قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ «**قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل**» [(٢)]. وهذا لا ينافي قوله: ﴿ **كُلُوا وَٱشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾** ﴾ [الحاقة: ٢٤] فإن الرسول نفى باء المقابلة والمعادلة، والقرآن أثبت باء السبب.

وقول من قال: إذا أحب الله عبدا لم تضره الذنوب، معناه أنه إذا أحب عبدا ألهمه التوبة والاستغفار فلم يصر على الذنوب، ومن ظن أن الذنوب لا تضر من أصر عليها فهو ضال مخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف والأئمة، بل من يعمل مثال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره، وإنما عباده الممدوحون هم المذكورون في قوله تعالى: ﴿ **وَسَارِعُوٓا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾** ﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٥].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١٢٠٧)، وأحمد (١/ ٩)، وأبو داود (٥٠٨٣)، والترمذي (٣٣٩٢)، والنسائي في «اليوم والليلة» (١١)، وابن حبان (٢٣٤٩) موارد، والحاكم (١/ ٥١٣)، والطبراني (٣٤٥٠)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٦٣).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٤٦٣)، ومسلم (٢٨١٦)، والطبراني في «الأوسط» (٨٠٠٤)، والبيهقي (٣/ ٣٧٧).

احتجاج المذنبين بالقدر

ومن ظن أن القدر حجة لأهل الذنوب فهو من جنس المشركين الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ١٤٨] قال الله تعالى رادا عليهم: ﴿ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ [الأنعام: ١٤٨، ١٤٩]، ولو كان القدر حجة [لأحد] لم يعذب الله المكذبين للرسل كقوم نوح وعاد وثمود والمؤتفكات وقوم فرعون، ولم يأمر بإقامة الحدود على المعتدين، ولا يحتج أحد بالقدر إلا إذا كان متبعا لهواه بغير هدى من الله ومن رأى القدر حجة لأهل الذنوب يرفع عنهم الذم والعقاب فعليه أن لا يذم أحدا ولا يعاقبه إذا اعتدى عليه، بل يستوي عنده ما يوجب اللذة وما يوجب الألم، فلا يفرق بين من يفعل معه خيرا ولا بين من يفعل معه شرا، وهذا ممتنع طبعا وعقلا وشرعا، وقد قال تعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾ [ص: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [القلم: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الجاثية: ٢١]، وقال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، وقال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ ﴾ [القيامة: ٣٦] أي مهملا لا يؤمر ولا ينهى. وقد ثبت في الصحيحين عن النبي أنه قال : «**احتج آدم وموسى، قال موسى: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، أخرجتنا ونفسك من الجنة. فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه، وكتب لك التوراة بيده، فبكم وجدت مكتوبا علي قبل**

أن أخلق: وعصى آدم ربه فغوى؟ قال: بأربعين سنة. قال فلم تلومني على أمر قدره الله علي قبل أن أخلق بأربعين سنة؟ قال: فحج آدم موسى» [1]. أي غلبه بالحجة. وهذا الحديث ضلت فيه طائفتان: طائفة كذبت به لما ظنوا أنه يقتضي رفع الذم والعقاب عمن عصى الله لأجل القدر، وطائفة شر من هؤلاء جعلوه حجة، وقد يقولون: القدر حجة لأهل الحقيقة الذين شهدوه أو الذين لا يرون أن لهم فعلا. ومن الناس من قال: إنما حج آدم موسى لأنه أبوه، ولأنه كان قد تاب، أو لأن الذنب كان في شريعة واللوم في أخرى، أو لأن هذا يكون في الدنيا دون الأخرى، وكل هذا باطل، ولكن وجه الحديث أن موسى عليه السلام لم يلم أباه إلا لأجل المصيبة التي لحقتهم من أجل أكله من الشجرة، فقال له: لماذا أخرجتنا [وأخرجت] نفسك من الجنة؟ ولم يلمه لمجرد كونه أذنب ذنبا وتاب منه، فإن موسى يعلم أن التائب من الذنب لا يلام، وهو قد تاب منه أيضا، ولو كان آدم يعتقد رفع الملام عنه لأجل القدر لم يقل: ﴿ **رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ** ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٣]، والمؤمن مأمور عند المصائب أن يصبر ويسلم، وعند الذنوب أن يستغفر ويتوب، قال الله تعالى: ﴿ **فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ** ﴾ [غافر: ٥٥] فأمره بالصبر على المصائب، والاستغفار من المعايب، وقال تعالى: ﴿ **مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ** ﴾ [التغابن: ١١] [قال ابن مسعود: هو الرجل تصيبه المصيبة يعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم]، فالمؤمنون إذا أصابتهم مصيبة – مثل المرض والفقر والذل – صبروا لحكم الله، وإن كان ذلك بسبب ذنب غيرهم، كمن أنفق أبوه ماله في المعاصي فافتقر أولاده لذلك، فعليهم أن يصبروا لما أصابهم، وإذا لاموا الأب لحظوظهم ذكر لهم القدر.

❁❁❁❁❁

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٦١٤)، ومسلم (٢٦٥٢)، وأحمد (٢/ ٢٦٨)، والحميدي (١١١٥)، وأبو داود (٤٧٠١)، والترمذي (٢١٣٤)، ومالك في «الموطأ» (٦٨٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٩٠)، والبغوي في «شرح السنة» (٦٨) والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٨٧)، وابن عدي في «الكامل» (١/ ١٩٢).

فضيلة الصبر

والصبر واجب باتفاق العلماء، وأعلى من ذلك الرضا بحكم الله. والرضا قد قيل إنه واجب، وقيل [إنه] مستحب [وهو الصحيح]، وأعلى من ذلك أن يشكر الله على المصيبة لما يرى من إنعام الله عليه بها حيث جعلها سببا لتكفير خطاياه ورفع درجاته [إلى الله]، وإنابته إلى الله وتضرعه إليه وإخلاصه له في التوكل عليه ورجائه دون المخلوقين. وأما أهل البغي والضلال فتجدهم يحتجون بالقدر إذا أذنبوا واتبعوا أهواءهم، ويضيفون الحسنات إلى أنفسهم إذا أنعم [الله] عليهم بها، كما قال بعض العلماء: أنت عند الطاعة قدري، وعند المعصية جبري، أي مذهب وافق هواك تمذهبت به. وأهل الهدى والرشاد إذا فعلوا حسنة شهدوا إنعام الله عليهم بها وأنه هو الذي أنعم عليهم وجعلهم مسلمين وجعلهم يقيمون الصلاة، وألهمهم التقوى، وأنه لا حول ولا قوة إلا به، فزال عنهم بشهود القدر العجب والمن والأذى، وإذا فعلوا سيئة استغفروا الله وتابوا إليه منها.

سيد الاستغفار

ففي صحيح البخاري عن شداد بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: «**سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت من قالها إذا أصبح موقنا بها فمات من ليلته دخل الجنة**» [1]. وفي الحديث الصحيح عن

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٣٠٦)، وأحمد (٤/ ١٢٢)، وابن أبي شيبة (١٠/ ٢٩٦)، والترمذي (٣٣٩٣)، والنسائي (٥٥٢٢)، والطبراني (٧١٧٤)، والبيهقي في

أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا. يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعا ولا أبالي، فاستغفروني أغفر لكم. يا عبادي، كلكم عار إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم. يا عبادي، كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم. يا عبادي، إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني. يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا. يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا. يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم اجتمعوا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص البحر إذا غمس فيه المخيط غمسة واحدة. يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**» [1]. فأمر سبحانه بحمد الله على ما يجده العبد من خير، وأنه إذا وجد شرا

= «الشعب» (٦٦٧)، والبغوي في «شرح السنة» (١٣٠٨)، وأبوء: أي اعترف «الفتح» (١١/ ١١٧).

(١) صحيح: أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٤٩٠)، ومسلم (٢٥٧٧)، وعبد الرزاق (٢٠٢٧٢)، والترمذي (٢٤٩٥)، وابن ماجه (٤٢٥٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٢٥)، والحاكم (٤/ ٤١)، والطيالسي (٤٦٣)، وأبو مسهر في «نسخته» (١)، بتحقيق شيخنا الفاضل مجدي فتحي السيد الذي علق عليه قائلا: قوله تعالى: «**إني حرمت الظلم على نفسي**» أي تقدست عنه وتعاليت، وأصل التحريم في اللغة المنع، فسمى تقدسه عن الظلم تحريما، لمشابهته للممنوع في أصل عدم الشيء. وقوله تعالى: «**فلا تظالموا**» أي لا تتظالموا والمراد لا يظلم بعضكم بعضا. وقوله تعالى: «**إنكم تخطئون بالليل والنهار**» أي تقعون في المعاصي ليلا ونهارا سرا وعلانية. وقوله تعالى: «**إذا غمس فيه المخيط غمسة واحدة**» هذا تقريب إلى الأفهام ومعناه لا ينقص شيئا أصلا لأن ما عند الله لا يدخله نقص وإنما يدخل النقص المحدود الفاني، وعطاء الله تعالى من رحمته وكرمه وهما صفتان من صفاته، لا يتطرق إليها نقص، فضرب المثل بالمخيط في البحر لأنه غاية ما يضرب به المثل في القلة.

فلا يلومن إلا نفسه.

وكثير من الناس يتكلم بلسان «**الحقيقة**»، ولا يفرق بين الحقيقة الكونية القدرية المتعلقة بخلقه ومشيئته، وبين الحقيقة الدينية الأمرية المتعلقة برضاه ومحبته. ولا يفرق بين من يقوم بالحقيقة الدينية موافقا لما أمر الله به على ألسن رسله؛ وبين من يقوم بوجده وذوقه غير معتبر ذلك بالكتاب والسنة. كما أن لفظ «**الشريعة**» يتكلم به كثير من الناس ولا يفرق بين الشرع المنزل من عند الله تعالى وهو الكتاب والسنة الذي بعث الله به رسوله — فإن هذا الشرع ليس لأحد من الخلق الخروج عنه ولا يخرج عنه إلا كافر — وبين الشرع الذي هو حكم الحاكم، فالحاكم تارة يصيب وتارة يخطئ، هذا إذا كان عالما عادلا. وإلا ففي السنن عن النبي ﷺ أنه قال: «**القضاة ثلاثة: قاضيان في النار، وقاض في الجنة. رجل علم الحق وقضى به فهو في الجنة، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار، ورجل علم الحق فقضى بغيره فهو في النار**» (١).

أفضل القضاة سيدنا محمد ﷺ

وأفضل القضاة العالمين العادلين سيد ولد آدم محمد ﷺ، فقد ثبت عنه في الصحيحين أنه قال: «**إنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم يكون ألحن بحجته من بعض، وإنما أقضي بنحو مما أسمع، فما قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار**» (٢). فقد أخبر سيد الخلق إذا قضى بشيء مما سمعه

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٣٥٧٣)، والترمذي (١٣٢٢)، وابن ماجه (٢٣١٥)، والحاكم (٤/ ٩٠)، والطبراني (١١٥٤)، والبغوي في «شرح السنة» (١٠/ ١١٧)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢/ ٦٩).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٤٥٨)، ومسلم (١٧١٣)، وأحمد (٢/ ٢٩٠)، وأبو داود (٣٥٨٣)، والترمذي (١٣٣٩)، والنسائي (٨/ ٢٣٣)، والبغوي في «شرح السنة» (٢٥٠٦)، ومسند الشافعي بترتيب السندي (٦٢٦).

- وكان في الباطن بخلاف ذلك - لم يجز للمقضي له أن يأخذ ما قضى به له، إنما يقطع له به قطعة من النار. وهذا متفق عليه بين العلماء في الأملاك المطلقة إذا حكم الحاكم بما ظنه حجة شرعية كالبينة والإقرار - وكان الباطن بخلاف الظاهر - لم يجز للمقضي له أن يأخذ ما قضى به له [باتفاق العلماء]، وإن حكم في العقود والفسوخ بمثل ذلك فأكثر العلماء يقولون إن الأمر كذلك، وهو مذهب مالك والشافعي وأحمد بن حنبل، وفرق أبو حنيفة ﷺ بين النوعين.

فلفظ «**الشرع**»، و«**الشريعة**» إذا أريد به الكتاب والسنة لم يكن لأحد من أولياء الله ولا لغيرهم أن يخرج عنه، ومن ظن أن لأحد من أولياء الله طريقا إلى الله غير متابعة محمد ﷺ باطنا وظاهرا.

فلم يتابعه باطنا وظاهرا فهو كافر، ومن احتج في ذلك بقصة موسى مع الخضر كان غالطا من وجهين: [أحدهما أن موسى لم يكن مبعوثا إلى الخضر ولا كان [يجب] على الخضر اتباعه، فإن موسى كان مبعوثا إلى بني إسرائيل، وأما محمد ﷺ فرسالته عامة لجميع الثقلين الجن والإنس، ولو أدركه من هو أفضل من الخضر كإبراهيم وموسى وعيسى وجب عليهم اتباعه فكيف بالخضر، سواء كان نبيا أو وليا، ولهذا قال الخضر لموسى: «**أنا على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه**»[1]. وليس لأحد من الثقلين الذين بلغتهم رسالة محمد ﷺ أن يقول [له] مثل هذا. الثاني أن ما فعله الخضر لم يكن مخالفا [للشريعة بل كان موافقا لها ولكن] موسى لم يكن علم الأسباب التي تبيح ذلك، فلما بينها له وافقه على ذلك، فإن خرق السفينة ثم ترقيعها لمصلحة أهلها خوفا من الظالم أن يأخذها إحسان إليهم وذلك جائز، وقتل الصائل جائز وإن كان صغيرا. ومن كان تكفيره لأبويه لا يندفع إلا بقتله جاز قتله. [ولهذا] قال ابن عباس رضي الله عنهما لنجدة الحروري لما سأله عن قتل الغلمان قال له: «إن كنت علمت منهم ما علمه الخضر من ذلك الغلام فاقتلهم

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٤)، ومسلم (٢٣٨٠)، وأحمد (٥/ ١٢٠)، والحميدي (٣٧١)، والبغوي في «شرح السنة» (٤/ ٢٢٠)، والطبراني في «تاريخه» (١/ ٣٦٧).

وإلا فلا تقتلهم»[1] رواه البخاري.

وأما الإحسان إلى اليتيم بلا عوض والصبر على الجوع فهذا من صالح الأعمال، فلم يكن في ذلك شيء مخالفا شرع الله. وأما إذا أريد بالشرع حكم الحاكم فقد يكون ظالما وقد يكون عادلا، وقد يكون صوابا وقد يكون خطأ، وقد يراد بالشرع قول أئمة الفقه كأبي حنيفة والثوري ومالك بن أنس والأوزاعي والليث بن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه، وداود وغيرهم، فهؤلاء أقوالهم يحتج لها بالكتاب والسنة، وإذا قلد المقلد لأحدهم حيث يسوغ ذلك كان جائزا أي ليس اتباع أحدهم واجبا على جميع الأمة كاتباع الرسول ﷺ ولا يرحم تقليد أحدهم كما يحرم اتباع من يتكلم بلا علم. وأما إن أضاف أحد إلى الشريعة ما ليس منها من أحاديث مفتراة أو تأويل النصوص بخلاف مراد الله ونحو ذلك فهذا من نوع التبديل، فيجب الفرق بين الشرع المنزل والشرع المؤول والشرع المبدل، كما يفرق بين الحقيقة الكونية والحقيقة الدينية الأمرية، وبين ما يستدل عليها بالكتاب والسنة وبين ما يكتفي فيها بذوق صاحبها ووجده.

فصل في أن الله ذكر في كتابه الفرق بين الإرادة والأمر وغيرهما

وقد [بين] الله في كتابه الفرق بين الإرادة والأمر والقضاء والإذن والتحريم والبعث والإرسال والكلام والجعل، وبين الكوني الذي خلقه وقدره وقضاه وإن كان لم يأمر به ولا يحبه [ولا يرضاه] ولا يثبت أصحابه ولا يجعلهم من أوليائه المتقين، وبين الديني الذي أمر به وشرعه [وأحبه ورضاه] وأثاب عليه وأكرمهم وجعلهم من أوليائه المتقين وحزبه المفلحين وجنده الغالبين، وهذا من أعظم الفروق التي يفرق بها بين أولياء الله وأعدائه، فمن استعمله الرب ﷻ فيما يحبه

---

(١) **صحيح**: لم يخرجه البخاري كما في تحفة الأشراف (٥/ ٢٧١)، وأخرجه مسلم.

ويرضاه ومات على ذلك كان من أوليائه، ومن كان عمله فيما يبغضه الرب ويكرهه ومات على ذلك كان من أعدائه.

الإرادة

«**فالإرادة الكونية**»: هي مشيئته لما خلقه، وجميع المخلوقات داخلة في مشيئته وإرادته الكونية.

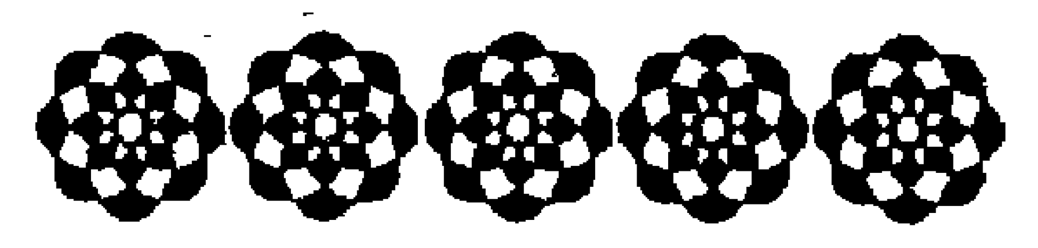
و«**الإرادة الدينية**»: (هي) المتضمنة لمحبته ورضاه المتناولة لما أمر به وجعله شرعا ودينا وهذه مختصة بالإيمان والعمل الصالح، قال الله تعالى [في الأولى]: ﴿ **فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ** ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وقال نوح عليه السلام لقومه: ﴿ **وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ** ﴾ [هود: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿ **وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾** ﴾ [الرعد: ١١]، وقال تعالى في الثانية: ﴿ **وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ** ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال في آية الطهارة: ﴿ **مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾** ﴾ [المائدة: ٦]، ولما ذكر ما أحله وما حرمه من النكاح قال: ﴿ **يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾** ﴾ [النساء: ٢٦ - ٢٨]، وقال لما ذكر ما أمر به أزواج النبي ﷺ وما نهاهن عنه: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾** ﴾ [الأحزاب: ٣٣]. والمعنى أنه أمركم بما يذهب عنكم الرجس [أهل البيت ويطهركم تطهيرا]، فمن أطاع أمره كان مطهرا قد أذهب عنه الرجس، بخلاف من عصاه.

الأمر

وأما «الأمر»: فقال في الأمر «الكوني»: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يس: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القمر: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ﴾ [يونس: ٢٤]، وأما الأمر «الديني» فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [النساء: ٥٨].

الإذن

وأما «الإذن»: فقال في «الكوني» لما ذكر السحر: ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٠٢] أي بمشيئته وقدرته، وإلا فالسحر لم يبحه الله ﷻ، وقال في «الإذن الديني»: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشورى: ٢١]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ ﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [الحشر: ٥].



القضاء

وأما «القضاء»: فقال في «الكوني»: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢]، وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ [البقرة: ١١٧]، وقال في «الديني»: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] أي أمر، وليس المراد قدر ذلك، فإنه قد عبد غيره كما أخبر في غير موضع كقوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، وقول الخليل عليه السلام لقومه: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء: ٧٥ — ٧٧]، وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ [الممتحنة: ٤]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ [الكافرون: ١ — ٦]، وهذه كلمة تقتضي براءته من دينهم، ولا تقتضي رضاه بذلك كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [يونس: ٤١]، ومن ظن من الملاحدة أن هذا رضاء منه بدين الكفار فهو من أكذب الناس وأكفرهم كمن ظن أن قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ [الإسراء: ٢٣] بمعنى قدر وإن الله سبحانه ما قضى بشيء إلا وقع وجعل عباد الأصنام ما عبدوا إلا الله، فإن هذا من أعظم الناس كفرا بالكتب والدين.

❁❁❁❁❁

البعث الكوني والديني والإرسال الكوني والديني

وأما لفظ «البعث» فقال تعالى في «الكوني»: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَـٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً ﴿٥﴾ ﴾ [الإسراء: ٥]، وقال في «البعث الدين»: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ [الجمعة: ٢]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]، وأما لفظ «الإرسال» فقال في «الإرسال الكوني»: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ﴾ [مريم: ٨٣]، وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ﴾ [الفرقان: ٤٨]، وقال في «الديني»: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ [الفتح: ٨]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ ﴾ [نوح: ١]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَـٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً ﴿١٥﴾ ﴾ [المزمل: ١٥]، وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ ﴾ [الحج: ٧٥].

الجعل

وأما لفظ «الجعل» فقال في «الكوني»: ﴿ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾ [القصص: ٤١]، وقال في «الديني»: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾ [المائدة: ١٠٣].

التحريم

وأما لفظ «التحريم» فقال في «الكوني»: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ [القصص: ١٢]، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٢٦]، وقال في «الديني»: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المائدة: ٣]، وقال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ﴾الآية [النساء: ٢٣].

الكلمات

وأما لفظ «الكلمات»: فقال في الكلمات «الكونية»: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾ [التحريم: ١٢]، وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه كان يقول: **«أعوذ بكلمات الله التامات كلها من شر ما خلق، ومن غضبه وعقابه، وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون»** [١]، وقال ﷺ: **«من نزل منزلا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك»** [٢]، وقال ﷺ: **«من نزل منزلا فقال: أعوذ**

---

(١) **ضعيف**: أخرجه أحمد (٦/ ٦)، وعبد الرزاق (١٩٨٣١)، وأبو داود (٣٨٩٣)، والترمذي (٣٥٢٨)، والحاكم (١/ ٥٤٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٨٥)، ومالك في «الموطأ» بلاغا (ص ٧٢٤).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٧٠٨)، وأحمد (٥/ ٤٣٠)، والترمذي (٣٤٣٧)، وابن ماجه (٣٥٤٧)، والدارمي (٢٦٨٠)، والبيهقي (٥/ ٢٥٣)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١/ ٣٨٠)، و«**أعوذ بكلمات الله التامات**» أي الكاملات التي لا يدخلها نقص، وقيل النافعة الشافية، وقيل المراد بكلمات الله هنا القرآن. انظر «شرح النووي» (٦/ ١٩٦).

بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر، ومن شر ما ذرأ في الأرض، ومن شر ما يخرج منها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر كل طارق، إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن» [(1)]. [فكلمات] الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر هي التي كون بها الكائنات، فلا يخرج بر ولا فاجر عن تكوينه ومشيئته وقدرته، وأما كلماته الدينية وهي كتبه المنزلة وما فيها من أمره ونهيه فأطاعها الأبرار وعصاها الفجار، وأولياء الله المتقون هم المطيعون لكلماته الدينية، وجعله الديني، وإذنه الديني وإرادته الدينية، وأما كلماته الكونية التي لا يجاوزها بر ولا فاجر فإنه يدخل تحتها جميع الخلق، حتى إبليس وجنوده وجميع الكفار وسائر من يدخل النار، فالخلق وإن اجتمعوا في شمول الخلق والمشيئة والقدرة والقدر لهم فقد افترقوا في الأمر والنهي والمحبة والرضا والغضب. وأولياء الله المتقون هم الذين فعلوا المأمور وتركوا المحظور، وصبروا على المقدور، فأحبهم وأحبوه ورضي عنهم ورضوا عنه. وأعداؤه أولياء الشياطين، وإن كانوا تحت قدرته. فهو يبغضهم ويغضب عليهم ويلعنهم ويعاديهم. وبسط هذه الجمل له موضع آخر، وإنما كتبت هنا تنبيها على مجامع الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، وجمع الفرق بينهما اعتبارهم بموافقة رسول الله ﷺ، فإنه هو الذي فرق الله تعالى به بين أوليائه السعداء وأعدائه الأشقياء، وبين أوليائه أهل الجنة وأعدائه أهل النار، وبين أوليائه أهل الهدى والرشاد وبين أعدائه أهل الغي والضلال والفساد، وأعدائه حزب الشيطان وأوليائه الذين كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه، قال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ الآية [المجادلة: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأنفال: ١٢]، وقال في أعدائه: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا

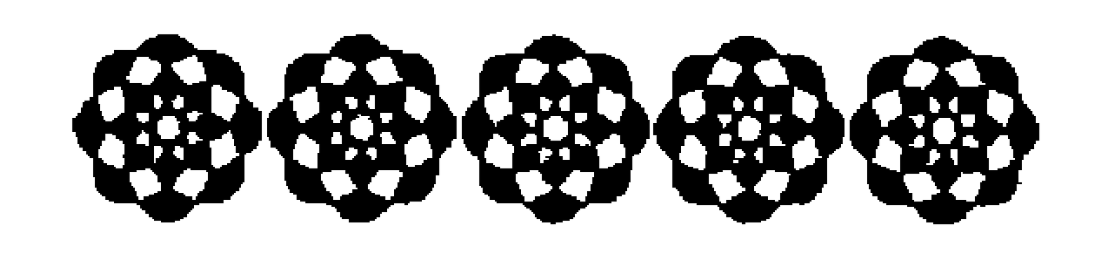
---

(١) **ضعيف**: أخرجه أحمد (٣/ ٤١٩) ومالك في «الموطأ» (ص ٧٢٥) مرسلا وأبو نعيم في دلائل النبوة (١/ ٦٠)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢٥).

شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [الأنعام: ١١٢]، وقال: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ [الشعراء: ٢٢١ – ٢٢٧]، وقال تعالى: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الحاقة: ٣٨ – ٥٢]، وقال تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ إلى قوله: ﴿ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الطور: ٢٩ – ٣٤] فنزه الله ﷻ نبينا محمدا ﷺ عمن تقترن به الشياطين من الكهان والشعراء والمجانين، وبين أن الذي جاءه بالقرآن ملك كريم اصطفاه، قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [الحج: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٢ – ١٩٥]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ الآية [البقرة: ٩٧]، وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [النحل: ٩٨ – ١٠٢] فسماه «**الروح الأمين**»، وسماه «**الروح القدس**»، وقال تعالى: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ ﴾ [التكوير: ١٥، ١٦] يعني الكواكب التي تكون في السماء خانسة – أي مختفية – قبل طلوعها، فإذا ظهرت رآها الناس جارية في السماء، فإذا غربت ذهبت إلى كناسها الذي يحجبها.

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴾ [التكوير: ١٧] أي إذا أدبر، وأقبل الصبح ﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ [التكوير: ١٨] أي أقبل ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴾ [التكوير: ١٩]، وهو جبريل عليه السلام ﴿ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴾ [التكوير: ٢٠، ٢١] أي مطاع في السماء أمين، ثم قال: ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴾ [التكوير: ٢٢] أي صاحبكم الذي من الله عليكم به إذ بعثه إليكم رسولا من جنسكم يصحبكم إذ كنتم لا تطيقون أن تروا الملائكة كما قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا ﴾ الآية [الأنعام: ٨، ٩]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴾ [التكوير: ٢٣] أي رأى جبريل عليه السلام، ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ ﴾ [التكوير: ٢٤] «**بظنين**» أي بمتهم، وفي القراءة الأخرى «**بضنين**» أي بخيل يكتم العلم إلا بالعوض ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ﴾ [التكوير: ٢٥] فنزه جبريل عليه السلام عن أن يكون شيطانا، كما نزه محمدا ﷺ عن أن يكون شاعرا أو كاهنا.

فأولياء الله المتقون هم المقتدون بمحمد ﷺ، فيفعلون ما أمر به وينتهون عما عنه زجر، ويقتدون به فيما بين لهم أن يتبعوه فيه، فيؤيدهم بملائكته وروح منه، ويقذف الله في قلوبهم من أنواره، ولهم الكرامات التي يكرم الله بها أولياءه المتقين وخيار أولياء الله كراماتهم الحجة في الدين أو الحاجة بالمسلمين، كما كانت معجزات نبيهم ﷺ كذلك.



مطلب معجزات النبي ﷺ

وكرامات أولياء الله إنما حصلت ببركة اتباع رسول ﷺ، فهي في الحقيقة تدخل في معجزات الرسول ﷺ مثل انشقاق القمر[١]. وتسبيح الحصا في كفه[٢]، وإتيان الشجر إليه[٣]، وحنين الجذع إليه[٤]. وإخباره ليلة المعراج بصفة بيت المقدس[٥]، وإخباره بما كان وما يكون[٦]، وإتيانه بالكتاب العزيز، وتكثير الطعام والشراب مرات كثيرة؛ كما أشبع في الخندق العسكر من قدر طعام وهو لم ينقص في حديث أم سليم المشهور[٧][٨]، وروى العسكر[٩] في غزوة خيبر من مزادة[١٠] ماء ولم تنقص[١١]، وملأ أوعية العسكر عام تبوك من طعام قليل ولم

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٦٣٧)، ومسلم (٢٨٠٠)، وأحمد (٣٧٧٠١)، والترمذي (٣٢٨٥)، وابن حبان (٦٤٩٥).

(٢) **ضعيف**: أخرجه البزار (٢٤١٣)، وفيه صالح بن أبي الأخضر، وهو لين الحديث وأورده الهيثمي في «المجمع» (٥/ ١٧٩)، عن أبي ذر وقال رواه الطبراني في «الأوسط» فيه محمد بن أبي حميد. وله طريق أحسن من هذا في علامات النبوة بإسناد صحيح، يشير إلى حديث البزار وهو ضعيف.

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٣٠١٢)، وأحمد (١/ ٢٢٣)، وابن ماجه (٤٠٢٨)، والدارمي (١/ ٩)، والبزار في «كشف الأستار» (٣/ ١٣٣).

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٥٨٥)، وأحمد (٣/ ٢٩٣)، والترمذي (٥٠٥)، وابن ماجه (١٤١٤).

(٥) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٨٨٦)، ومسلم (١٧٢).

(٦) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٨٩٢).

(٧) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٥٧٨)، ومسلم (٢٠٤٠)، والترمذي (٣٦٣٠)، والدارمي (٤٣).

(٨) من رواية أنس رضي الله عنه

(٩) **العسكر**: الجند.

(١٠) **مزادة**: قربة.

(١١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٤٤) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه

ينقص وهم نحو ثلاثين ألفا[1]، ونبع الماء من بين أصابعه مرات متعددة حتى كفى الناس الذين كانوا معه، كما كانوا في غزوة الحديبية نحو ألف وأربعمائة أو خمسمائة[2]، ورده لعين قتادة - حين سالت على خده - فرجعت أحسن عينيه[3]، ولما أرسل محمد بن مسلمة لقتل كعب بن الأشرف فوقع وانكسرت رجله فمسحها فبرئت[4]، وأطعم من شواء مائة وثلاثين رجلا كلا منهم حز له قطعة، وجعل منها قصعتين فأكلوا منهما جميعهم ثم فضل فضلة[5].

ودين عبد الله أبي جابر لليهودي وهو ثلاثون وسقا، قال جابر: فأمر صاحب الدين أن يأخذ التمر جميعه بالذي كان له فلم يقبل، فمشى فيها رسول الله ﷺ ثم قال لجابر: جد له، فوفاه الثلاثين وسقا وفضل سبعة عشر وسقا[6]، ومثل هذا كثير قد جمعت نحو ألف معجزة.

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٤٨٤)، ومسلم (٧٠٦)، ومالك في «الموطأ» (ص ١٣٦).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٧٣١)، ومسلم (٢٢٧٩)، وأحمد (٣/ ١٣٢١)، والترمذي (٣٦٣١).

(٣) **ضعيف**: أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ٢٠٥)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٢٩٧): رواه الطبراني وأبو يعلى وذكره، وقال: وفي إسناد الطبراني من لم أعرفهم وفي إسناد أبي يعلى يحيى بن عبد الحميد الحماني وهو ضعيف، وقال الحافظ في «الإصابة» أن ذلك يوم أحد، وقال: أخرجه الدارقطني وابن شاهين وفيه عبد الرحمن بن يحيى العذري مجهول، وقال: أخرج الدارقطني، والبيهقي في «الدلائل» أن عينه ذهبت يوم أحد وهي طرق مرسلة وما روى أولا أصح - يعني أن ذلك في غزوة بدر.

(٤) **ضعيف**: ذكر الحافظ في «الفتح» (٧/ ٤١٩)، (كتاب المغازي/ باب قتل كعب بن الأشرف) رواية عروة وفيها. قال: وضربه محمد بن مسلمة فقتله وأصاب ذباب السيف الحارث بن أوس... وفي رواية الواقدي أن النبي ﷺ تفل على جرح الحارث ابن أوس فلم يؤذه، وفي مرسل عكرمة فبزق فيها ثم ألصقها فالتحمت، وذكر المؤلف رحمه الله محمد بن مسلمة خطأ والصواب هو الحارث بن أوس وهو ابن أخت سعد ابن معاذ.

(٥) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٢١٦)، ومسلم (٢٠٥٦).

(٦) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢١٢٧).

في ذكر طرف من كرامات الصحابة والتابعين

وكرامات الصحابة والتابعين بعدهم وسائر الصالحين كثيرة جدا، مثل ما كان أسيد بن حضير يقرأ سورة الكهف فنزل من السماء مثل الظلة فيها أمثال السرج وهي الملائكة نزلت [تسمع] لقراءته(١). وكانت الملائكة تسلم على عمران بن حصين(٢). وكان سلمان وأبو الدرداء يأكلان في صحفة، فسبحت الصحفة أو سبح ما فيها. وعباد بن بشر وأسيد بن حضير خرجا من عند رسول الله ﷺ في ليلة فأضاء لهما نور مثل طرف السوط، فلما افترقا افترق الضوء معهما رواه البخاري، وغيره(٣). وقصة الصديق في الصحيحين لما ذهب بثلاثة أضياف معه إلى بيته وجعل لا يأكل لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها، فشبعوا وصارت أكثر مما هي قبل ذلك، فنظر إليها أبو بكر وامرأته فإذا هي أكثر مما كانت، فرفعها إلى رسول الله ﷺ وجاء إليه أقوام كثيرون فأكلوا منها وشبعوا(٤). وخبيب بن عدي كان أسيرا عند المشركين بمكة شرفها الله تعالى، وكان يؤتى بعنب يأكله وليس بمكة عنبة(٥). وعامر بن فهيرة قتل شهيدا فالتمسوا جسده فلم يقدروا عليه، وكان لما قتل رفع فرآه عامر بن الطفيل وقد رفع، وقال عروة: فيرون الملائكة رفعته(٦). وخرجت أم أيمن مهاجرة وليس معها زاد ولا ماء فكادت تموت من العطش، فلما كان وقت الفطر وكانت صائمة سمعت حسا على رأسها فرفعته فإذا دلو معلق فشربت منه حتى رويت، وما عطشت بقية عمرها(٧). وسفينة مولى

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٨٣٩).
(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٢٢٦).
(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٦٣٩).
(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٥٨١).
(٥) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٩٨٩).
(٦) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٠٩٣).
(٧) **ضعيف**: ذكره الحافظ في «الإصابة» (٤/ ٤١٥).

رسول الله ﷺ أخبر الأسد بأنه رسول رسول الله ﷺ فمشى معه الأسد حتى أوصله مقصده[١]. والبراء بن مالك كان إذا أقسم على الله تعالى أبر قسمه، وكان الحرب إذا اشتد على المسلمين في الجهاد يقولون: يا براء أقسم على ربك، فيقول: يا رب أقسمت عليك لما منحتنا أكتافهم، فيهزم العدو، فلما كان يوم القادسية قال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وجعلتني أول شهيد، فمنحوا أكتافهم وقتل البراء شهيدا[٢]. وخالد بن الوليد حاصر حصنا [منيعا]، فقالوا: لا نسلم حتى تشرب السم، فشربه فلم يضره[٣]. وسعد بن أبي وقاص كان مستجاب الدعوة، ما دعا قط إلا استجيب له، وهو الذي هزم جنود كسرى وفتح العراق[٤]. وعمر بن الخطاب لما أرسل جيشا أمر عليهم رجلا يسمى سارية، فبينما عمر يخطب فجعل يصيح على المنبر: يا سارية الجبل، يا سارية الجبل، فقدم رسول الجيش، فسأله فقال: يا أمير المؤمنين لقينا عدوا فهزمونا فإذا بصائح: يا سارية الجبل، يا سارية الجبل، فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله[٥]. ولما عذبت الزنيرة على الإسلام في الله فأبت إلا الإسلام وذهب بصرها قال المشركون: ما أصاب بصرها إلا اللات والعزى، قالت: كلا والله، فرد الله عليها بصرها. ودعا سعيد بن زيد على أروى بنت الحكم فأعمى بصرها لما كذبت عليه، فقال: اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها واقتلها في أرضها فعميت ووقعت في حفرة من أرضها فماتت[٦]. والعلاء بن الحضرمي كان عامل رسول الله ﷺ على البحرين وكان يقول في دعائه: يا عليم يا حليم، يا علي يا عظيم،

---

(١) **ضعيف**: أخرجه البخاري في «التاريخ» (٢/ ١٩٥)، والحاكم (٣/ ٦٠٦).

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٨٥٤)، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء**».

(٣) **ضعيف**: أورده الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٣٥٠)، عن أبي السفر وأبي برده وهما لم يسمعا من خالد وقال: رواه الطبراني وأبو يعلى.

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٥٥).

(٥) **حسن**: ذكره السخاوي في المقاصد (١٣٣٣)، وقال: قال شيخنا: إسناده حسن وكذلك حسنه الألباني في «الصحيحة» (١١١٠).

(٦) **صحيح**: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٩٧).

فيستجاب له، ودعا الله بأن يسقوا ويتوضئوا لما عدموا الماء والإسقاء لما بعدهم فأجيب ودعا الله لما اعترضهم البحر ولم يقدروا على المرور بخيولهم، فمروا كلهم وهو العسكر بخيولهم على الماء ما ابتلت سروج خيولهم. ودعا الله أن لا يروا جسده إذا مات فلم يجدوه في اللحد. وجرى مثل ذلك لأبي مسلم الخولاني الذي ألقي في النار، فإنه مشى هو ومن معه من العسكر على دجلة وهي ترمي بالخشب من مدها، ثم التفت إلى أصحابه فقال: [هل] تفقدون من متاعكم شيئا حتى أدعو الله ﷻ فيه؟ فقال بعضهم: فقدت مخلاة، فقال اتبعني، فتبعه فوجدها [قد] تعلقت بشيء فأخذها. وطلبه الأسود العنسي لما ادعى النبوة فقال له: أتشهد أني رسول الله؟ قال: ما أسمع، قال: أتشهد أن محمدا رسول الله؟ قال: نعم، فأمر بنار فألقي فيها فوجدوه قائما يصلي فيها وقد صارت عليه بردا وسلاما. وقدم المدينة بعد موت النبي ﷺ فأجلسه عمر بينه وبين أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أرى من أمة محمد ﷺ من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الله. ووضعت له جاريته السم في طعامه [وأكله] فلم يضره. وخببت امرأة عليه زوجته فدعا عليها فعميت. وجاءت وتابت فدعا لها فرد الله عليها بصرها. وكان عامر بن عبد قيس يأخذ عطاءه ألفي درهم في كمه ما يلقاه سائل في طريقه إلا أعطاه بغير عدد، ثم يجيء إلى بيته فلا يتغير عددها ولا وزنها. ومر بقافلة قد حبسهم الأسد فجاء حتى مس بثيابه الأسد ثم وضع رجله على عنقه وقال: إنما أنت كلب من كلاب الرحمن، وإني أستحي من الله أن أخاف شيئا غيره، ومرت القافلة. ودعا الله تعالى أن يهون عليه الطهور في الشتاء فكان يؤتى بالماء له بخار، ودعا ربه أن يمنع قلبه من الشيطان وهو في الصلاة فلم يقدر عليه. وتغيب الحسن البصري عن الحجاج، فدخلوا عليه ست مرات، فدعا الله ﷻ فلم يروه. ودعا على بعض الخوارج كان يؤذيه فخر ميتا. وصلة بن أشيم مات فرسه وهو في الغزو فقال: اللهم لا تجعل لمخلوق علي منة، ودعا الله ﷻ فأحيا له فرسه، فلما وصل إلى بيته قال: يا بني، خذ سرج الفرس فإنه عارية، فأخذ سرجه فمات الفرس. وجاع مرة بالأهواز، فدعا الله ﷻ واستطعمه، فوقعت خلفه دوخلة رطب في ثوب حرير، فأكل [التمر] وبقي الثوب عند زوجته زمانا. وجاءه الأسد وهو يصلي في غيضة بالليل، فلما سلم

قال له: اطلب الرزق من غير هذا الموضع، فولى الأسد وله زئير. وكان سعيد بن المسيب في أيام الحرة يسمع الأذان من قبر رسول الله ﷺ في أوقات الصلوات، وكان المسجد قد خلا فلم يبق غيره[1]. ورجل من النخع كان له حمار فمات في الطريق، فقال له أصحابه: هلم نتوزع متاعك على رحالنا. فقال لهم أمهلوني هنيهة، ثم توضأ فأحسن الوضوء وصلى ركعتين ودعا الله تعالى، فأحيا له حماره، فحمل عليه متاعه. ولما مات أويس القرني وجدوا في ثيابه أكفانا لم تكن معه قبل، ووجدوا له قبرا محفورا فيه لحد في صخرة، فدفنوه فيه وكفنوه في تلك الأثواب. [وكذا ذكر الأكمل هذه القصة في شرح المشارق]، وكان عمرو بن عقبة بن فرقد يصلي يوما في شدة الحر، فأظلته غمامة، وكان السبع يحميه وهو يرعى ركاب أصحابه، لأنه كان يشترط على أصحابه في الغزو أن يخدمهم. وكان مطرف بن عبد الله بن الشخير إذا دخل بيته سبحت معه آنيته. وكان هو وصاحب له يسيران في ظلمة، فأضاء لهما طرف السوط. ولما مات الأحنف بن قيس وقعت قلنسوة رجل في قبره فأهوى ليأخذها فوجد القبر قد فسح فيه مد البصر. وكان إبراهيم التيمي يقيم الشهرين لا يأكل شيئا، وخرج يمتار لأهله طعاما فلم يقدر عليه، فمر بسهلة حمراء فأخذ منها ثم رجع إلى أهله ففتحها فإذا هي حنطة حمراء، فكان إذا زرع منها تخرج السنبلة من أصلها إلى فرعها حبا متراكبا. وكان عتبة الغلام سأل ربه ثلاث خصال: صوتا حسنا، ودمعا غزيرا، وطعاما من غير تكلف، فكان إذا قرأ بكى وأبكى، ودموعه جارية دهره، وكان يأوي إلى منزله فيصيب فيه قوته ولا يدري من أين يأتيه. وكان عبد الواحد بن زيد أصابه الفالج، فسأل ربه أن يطلق له أعضاءه وقت الوضوء، فكان وقت الوضوء تطلق له أعضاؤه ثم تعود بعده.

وهذا باب واسع، وقد بسط الكلام على كرامات الأولياء في غير هذا الموضع وأما ما نعرفه نحن عيانا ونعرفه في هذا الزمان فكثير.

ومما ينبغي أن يعرف أن الكرامات قد تكون بحسب حاجة الرجل، فإذا احتاج إليها الضعيف الإيمان أو المحتاج أتاه منها ما يقوي إيمانه ويسد حاجته، ويكون من

(١) **إسناده صحيح**: أخرجه الدارمي (٩٤).

هو أكمل ولاية لله منه مستغنيًا عن ذلك فلا يأتيه مثل ذلك لعلو درجته وغناه عنها، لا لنقص ولايته، ولهذا كانت هذه الأمور في التابعين أكثر منها في الصحابة، بخلاف من تجري على يديه الخوارق لهدى الخلق ولحاجتهم فهؤلاء أعظم درجة.

أهل الأحوال الشيطانية

وهذا بخلاف الأحوال الشيطانية مثل حال عبد الله بن صياد الذي ظهر في زمن النبي ﷺ وكان قد ظن بعض الصحابة أنه الدجال، وتوقف النبي ﷺ في أمره حتى تبين له فيما بعد أنه ليس هو الدجال، لكنه كان من جنس الكهان، قال له النبي ﷺ: «**قد خبأت له خبئًا**». وقال الدخ الدخ، وقد كان خبأ له سورة الدخان، فقال له النبي ﷺ: «**اخسأ فلن تعدو قدرك**»[1]. يعني إنما أنت من إخوان الكهان، والكهان كان يكون لأحدهم القرين من الشيطان يخبره بكثير من المغيبات بما يسترقه من السمع، وكانوا يخلطون الصدق بالكذب كما في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره أن النبي ﷺ قال: «**إن الملائكة تنزل في العنان** – وهو السحاب – **فتذكر الأمر قضي في السماء، فتسترق الشياطين السمع فتوحيه إلى الكهان، فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم**»[2].

وفي الحديث الذي رواه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما النبي ﷺ في نفر من الأنصار، إذ رمي بنجم فاستنار، فقال النبي ﷺ: «**ما كنتم تقولون لمثل هذا في الجاهلية إذا رأيتموه؟**» قالوا: كنا نقول يموت عظيم أو يولد عظيم، قال رسول الله ﷺ: «**فإنه لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا**

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦١٧٣)، ومسلم (٢٨٦) (تحفة كتاب الفتن)، وأحمد (١/ ٣٨٠)، وأبو داود (٢٣٢٩)، والترمذي (٢٢٤٩)، والدارمي (١/ ١٠)، والعقيلي (٤/ ٣١٧).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٤٧٠١)، وأحمد (٥/ ١١٧).

تبارك وتعالى إذا قضى أمرا سبح حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء، ثم يسأل أهل السماء السابعة حملة العرش: ماذا قال ربنا؟ فيخبرونهم، ثم يستخبر أهل كل سماء، حتى يبلغ الخبر أهل المساء الدنيا، وتخطف الشياطين السمع فيرمون، فيقذفونه إلى أوليائهم، فما جاءوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يزيدون»، وفي رواية: قال معمر قلت للزهري: أكان يرمى بها في الجاهلية؟ قال: نعم. ولكنها غلظت حين بعث النبي ﷺ [1].

والأسود العنسي الذي ادعى النبوة كان له من الشياطين من يخبره ببعض الأمور المغيبة، فلما قاتله المسلمون كانوا يخافون من الشياطين أن يخبروه بما يقولون فيه، حتى أعانتهم عليه امرأته لما تبين لها كفره، فقتلوه، وكذلك مسيلمة الكذاب كان معه من الشياطين من يخبره بالمغيبات، ويعينه على بعض الأمور. وأمثال هؤلاء كثيرون مثل الحارث الدمشقي الذي خرج بالشام زمن عبد الملك ابن مروان وادعى النبوة، وكانت الشياطين يخرجون رجليه من القيد وتمنع السلاح أن ينفذ فيه، وتسبح الرخامة إذا مسحها بيده، وكان يرى الناس رجالا وركبانا على خيل في الهواء ويقول: هي الملائكة، وإنما كانوا جنا، ولما أمسكه المسلمون ليقتلوه طعنه الطاعن بالرمح فلم ينفذ فيه، فقال له عبد الملك: إنك لم تسم الله، فسمى الله فطعنه فقتله. وهكذا أهل الأحوال الشيطانية تنصرف عنهم شياطينهم إذا ذكر عندهم ما يطردها مثل آية الكرسي، فإنه قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ في حديث أبي هريرة ﷺ لما وكله النبي ﷺ بحفظ زكاة الفطر، فسرق منه الشيطان ليلة، وهو يمسكه فيتوب فيطلقه، فيقول له النبي ﷺ: «**ما فعل أسيرك البارحة؟**» فيقول زعم أنه لا يعود فيقول: «**كذبك وإنه سيعود**». فلما كان في المرة الثالثة قال: دعني حتى أعلمك ما ينفعك، إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ إلى آخرها، فإنه لن يزال

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٢٢٩)، وأحمد (١/ ٢١١)، والترمذي (٣٢٢٤)، والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» (١١/ ١٧٢)، وابن حبان (٦١١٩)، والبيهقي في «السنن» (٨/ ١٣٨)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٣/ ١١٣).

عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح. فلما أخبر النبي ﷺ قال: «**صدقك وهو كذوب**»، وأخبره أنه شيطان [(١)]. ولهذا إذا قرأها الإنسان عند الأحوال الشياطين بصدق أبطلتها مثل من يدخل النار بحال شيطاني، أو يحضر سماع المكاء والتصدية فتنزل عليه الشيطان وتتكلم على لسانه كلاما لا يعلم، وربما يفقه، وربما كاشف بعض الحاضرين بما في قلبه، وربما تكلم بألسنة مختلفة كما يتكلم الجني على لسان المصروع، والإنسان الذي حصل له الحال لا يدري بذلك، بمنزلة المصروع الذي يتخبطه الشيطان من المس ولبسه وتكلم على لسانه، فإذا أفاق لم يشعر بشيء مما قال، ولهذا قد يضرب المصروع [ضربا كثيرا حتى يقتل مثله للإنسي أو يمرضه لو كان هو المضروب]، وذلك الضرب لا يؤثر في الإنسي، ويخبر إذا أفاق أنه لم يشعر بشيء لأن الضرب كان على الجني الذي لبسه. ومن هؤلاء من يأتيه الشيطان بأطعمة وفواكه وحلوى وغير ذلك مما يكون في ذاك الموضع، ومنهم من يطير به الجني إلى مكة أو بيت المقدس أو غيرهما، ومنهم من يحمله عشية عرفة ثم يعيده من ليلته فلا يحج حجا شرعيا بل يذهب بثيابه، ولا يحرم إذا حاز الميقات ولا يلبي، ويقف بمزدلفة، ولا يطوف بالبيت، ولا يسعى بين الصفا والمروة، ولا يرمي الجمار، بل يقف بعرفة بثيابه ثم يرجع من ليلته، وهذا ليس بحج، [مشروع باتفاق المسلمين: بل هو كمن يأتي الجمعة ويصلي بغير وضوء إلى غير قبلة].

وبين كرامات الأولياء و[بين] ما يشبهها من الأحوال الشيطانية فروق متعددة:

الفروق بين الكرامات

منها أن كرامات الأولياء سببها الإيمان والتقوى، والأحوال الشيطانية سببها ما

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٣١١) معلقا، وقال الحافظ في «الفتح»: وصله النسائي والإسماعيلي وأبو نعيم من طرق إلى عثمان المذكور.

نهى الله عنه ورسوله [ويستعان بها على ما نهى الله عنه ورسوله]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٣] فالقول على الله بغير علم والشرك والظلم والفواحش قد حرمها الله تعالى ورسوله، فلا تكون سببا لكرامة الله تعالى بالكرامات عليها، فإذا كانت لا تحصل بالصلاة والذكر وقراءة القرآن [والدعاء] بل تحصل بما يحبه الشيطان وبالأمور التي فيها كاستغاثة بالمخلوقات، أو كانت مما يستعان بها على ظلم الخلق وفعل الفواحش فهي من الأحوال الشيطانية، لا من الكرامات الرحمانية. ومن هؤلاء من إذا حضر سماع المكاء والتصدية يتنزل عليه شيطانه حتى يحمله في الهواء ويخرجه من تلك الدار، فإذا حصل رجل من أولياء الله تعالى طرد شيطانه فيسقط. كما [قد] جرى هذا لغير واحد. ومن هؤلاء من يستغيث بمخلوق إما حي أو ميت، سواء كان ذلك [المخلوق] مسلما أو نصرانيا أو مشركا، فيصور الشيطان بصورة ذلك المستغاث به ويقضي بعض حاجة ذلك المستغيث، فيظن أنه ذلك الشخص، أو هو ملك على صورته، وإنما هو شيطان أضله لما أشرك بالله، كما كانت الشياطين تدخل [في] الأصنام وتكلم المشركين، ومن هؤلاء من يتصور له الشيطان ويقول له: أنا الخضر، وربما أخبره ببعض الأمور وأعانه على بعض مطالبه، كما قد جرى ذلك لغير واحد من المسلمين، واليهود والنصارى وكثير من الكفار بأرض المشرق والمغرب [وغيرهما] يموت لهم الميت فيأتي الشيطان بعد موته على صورته وهم يعتقدون أنه ذلك الميت، ويقضي الديون ويرد الودائع ويفعل أشياء تتعلق بالميت، ويدخل إلى زوجته ويذهب، وربما يكونون قد أحرقوا ميتهم بالنار كما تصنع كفار الهند فيظنون أنه عاش بعد موته.

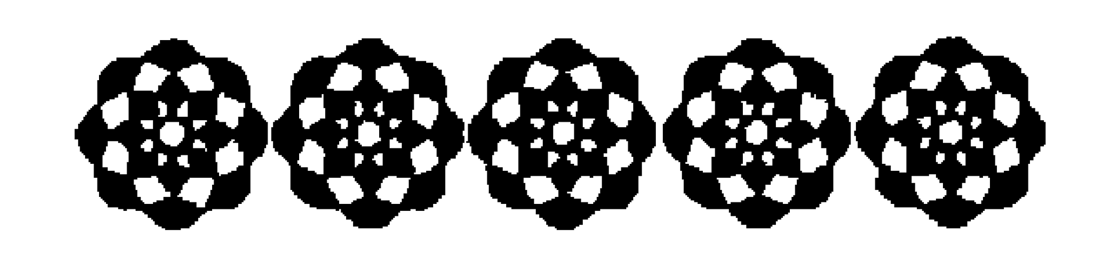
[ومن هؤلاء شيخ كان بمصر، أوصى خادمه فقال: إذا أنا مت فلا تدع أحدا يغسلني، فأنا أجيء وأغسل نفسي. فلما مات رأى خادمه شخصا في صورته فاعتقد أنه هو، دخل وغسل نفسه، فلما قضى ذلك الداخل غسله أي غسل الميت غاب. وكان ذلك شيطانا، وكان قد أضل الميت وقال: إنك بعد الموت تجيء فتغسل نفسك، فلما مات جاء أيضا في صورته ليغوي الأحياء كما أغوى الميت قبل ذلك].

ومنهم من يرى عرشا في الهواء وفوقه نور، ويسمع من يخاطبه ويقول: أنا ربك. فإذا كان من أهل المعرفة علم أنه شيطان فزجره واستعاذ بالله منه فيزول ذلك. ومنهم من يرى أشخاصا في اليقظة يدعي أحدهم أنه نبي أو صديق أو شيخ من الصالحين، وقد جرى هذا لغير واحد.

[وهؤلاء منهم من يرى ذلك عند قبر الذي يزوره فيرى القبر قد انشق وخرج إليه صورة فيعتقدها الميت وإنما هو جني تصور بتلك الصورة ومنهم من يرى فارسا قد خرج من عند قبره أو دخل في قبره ويكون ذلك شيطانا وكل من قال إنه رأى نبيا بعين رأسه فما رآه إلا خيالا.

ومنهم من يرى في منامه أن بعض الأكابر – إما الصديق ﷺ أو غيره – قد قص شعره أو حلقه أو ألبسه طاقيته أو ثوبه، فيصبح على رأسه طاقية وشعره محلوق أو مقصر، وإنما الجن قد حلقوا شعره أو قصروه.

وهذه الأحوال الشيطانية تحصل لمن خرج عن الكتاب والسنة، وهم درجات، والجن والذين يقترنون بهم من جنسهم، [وهم على مذهبهم]. والجن فيهم الكافر والفاسق والمخطئ، فإن كان الإنسي كافرا أو فاسقا أو جاهلا دخلوا معه في الكفر والفسوق والضلال، وقد يعاونونه إذا وافقهم على ما يختارونه من الكفر، مثل الإقسام عليهم بأسماء من يعظمونه من الجن وغيرهم، ومثل أن يكتب أسماء الله أو بعض كلامه بالنجاسة، أو يقلب فاتحة الكتاب أو سورة الإخلاص أو آية الكرسي أو غيرهن ويكتبهن بنجاسة، فيغورون له الماء وينقلونه بسبب ما يرضيهم به من الكفر. وقد يأتونه بما يهواه من امرأة أو صبي إما في الهواء وإما مدفوعا ملجأ إليه، إلى أمثال هذه الأمور التي يطول وصفها، والإيمان بها إيمان بالجبت والطاغوت، والجبت السحر والطاغوت الشياطين والأصنام. وإن كان الرجل مطيعا لله ورسوله باطنا وظاهرا لم يمكنهم إلا الدخول معه في ذلك أو مسالمته.



النهي عن تعظيم القبور

ولهذا لما كانت عبادة المسلمين المشروعة في المساجد التي هي بيوت الله كان عمار المساجد أبعد عن الأحوال الشيطانية، وكان أهل الشرك والبدع يعظمون القبور ومشاهد الموتى فيدعون الميت أو يدعون به أو يعتقدون أن الدعاء عنده مستجاب أقرب إلى الأحوال الشيطانية، فإنه ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» (١). وثبت في صحيح مسلم عنه أن ﷺ قال قبل أن يموت بخمس [ليال]: «**إن من أمن الناس علي في صحبته وذات يده أبا بكر، ولو كنت متخذا خليلا من أهل الأرض لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكن صاحبكم خليل الله. لا يبقين في المسجد خوخة إلا سدت إلا خوخة أبي بكر. إن من كان قبلك كانوا يتخذون القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك**» (٢)، وفي

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٣٥)، ومسلم (٥٢٩)، وأحمد (١٨٨٤)، وأبو عوانة (١/ ٣٩٩)، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٤١٥). ويقول الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى في تحقيقه للمسند عند حديث رقم (١٨٨٤): وأكثر المسلمين لم يحذروا ما حذرهم رسول الله في آخر حياته حيث يتهيأ للقاء ربه، بل اتخذوا قبور من سموهم [أولياء] مساجد وقبور أهل البيت مساجد وغلوا في ذلك غلوا شديدا بل إنهم وضعوا قبور الملوك والأمراء في المساجد والله أعلم بهم وبما كان لهم من عمل في دنياهم ومن أثر في الإسلام، وبلاد الإسلام بسيئ أو حسن بل ازدادوا بعدا عن طاعة رسول الله فصار الرجل منهم إذا كان ذا مال بنى لنفسه أو بنى له أهله مسجدا ثم دفنوه فيه. فعن ذلك ضعف شأن المسلمين وهانوا على أنفسهم وعلى أعدائهم بما خالفوا عن أمر ربهم وبما فعلوا فعل من لعنهم الله على لسان رسوله. هدانا الله جميعا لاتباع السنة ولما يحبه ويرضاه: اهـ بنصه.

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٦٦)، وليس فيه قبل أن يموت بخمس ليال، ومسلم (٥٣٢)، وأبو عوانة (١/ ٤٠١)، والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» (٢/ ٤٣)، والطبراني في «الكبير» (١٦٨٦)، وابن سعد في «الطبقات» (٢/ ٢٤٠)،

الصحيحين عنه أن ذكر له في مرضه كنيسة بأرض الحبشة وذكروا من حسنها وتصاوير فيها فقال: «**إن أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيها تلك التصاوير، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة**» (١).

وفي المسند وصحيح أبي حاتم عنه ﷺ قال: «**إن من شرار الخلق من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين اتخذوا القبور مساجد**» (٢)، وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال: «**لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها**» (٣). وفي الموطأ عنه أنه قال: «**اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» (٤)، وفي السنن عنه أنه قال: «**لا تتخذوا قبري عيدا، وصلوا علي حيث ما كنتم فإن صلاتكم تبلغني**» (٥). وقال ﷺ: «**ما من رجل يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام**» (٦). وقال ﷺ: «**إن الله وكل**

= والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ١٧٦).

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٢٢)، ومسلم (٥٣٢)، وابن أبي شيبة (٤/ ١٤٠)، وأحمد (٦/ ٥١)، وأبو عوانة (١/ ٤٠٠)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢/ ٢٢٠)، وابن سعد (٢/ ٢٤١)، والبيهقي (٤/ ٨٠)، والبغوي في «شرح السنة» (٢/ ٤١٥).

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (٣٧٣٥)، وابن أبي شيبة (٤/ ١٤٠)، وابن خزيمة (١/ ٩٢)، وابن حبان (٣٤٠)، وأبو يعلى (١/ ٢٥٧)، والطبراني (٣/ ٧٧)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١/ ١٤٢)، والحديث صححه الألباني في «تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد» (ص ١٩).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٩٧٢)، وأحمد (٤/ ٣٥)، ، وأبو داود (٣٢٢٩)، والنسائي (١/ ١٢٤)، والترمذي (١٠٥٠)، وابن خزيمة (٧٩٣)، وابن حبان (٢٣٢٢)، والحاكم (٣/ ٢٢١)، والبيهقي (٣/ ٤٣٥)، والطحاوي في «شرح المعاني» (١/ ٢٩٦)، وابن عساكر (٢/ ١٥١).

(٤) **صحيح**: أخرجه أحمد (٧٣٥٢)، وعبد الرزاق (١/ ٤٠٦)، وابن أبي شيبة (٤/ ١٤١)، والحميدي (١٠٢٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢٨٣)، ومالك في «الموطأ» قال الألباني رحمه الله: هذا الحديث صحيح عند من قال بمراسيل الثقات وعند من قال بالمسند لإسناد عمر بن محمد له.

(٥) **صحيح**: رواه بلفظه عبد الرزاق (٦٧٢٦)، وابن أبي شيبة (٢/ ٣٧٥)، وأبو داود (٢٠٤٢)، وأحمد (٢/ ٣٦٧)، وعند البخاري بمعناه (٤٣٢)، ومسلم (٧٧٧).

(٦) **حسن**: أخرجه أحمد (٢/ ٥٢٧)، وأبو داود (٢٠٤١)، والحاكم (٣/ ٣٦٦)، =

بقبري ملائكة يبلغوني عن أمتي السلام» [1]. وقال ﷺ: «**أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة، فإن صلاتكم معروضة علي**». قالوا: يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت – أي يقولون بليت – فقال: « **إن الله حرم على الأرض أن تأكل لحوم الأنبياء**» [2]. وقد قال الله تعالى في كتابه عن المشركين من قوم نوح عليه السلام: ﴿ **وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا** ﴿٢٣﴾ ﴾ [نوح: ٢٣] قال ابن عباس وغيره من السلف: هؤلاء قوم كانوا صالحين من قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم فعبدوهم، فكان هذا مبدأ عبادة الأوثان. فنهى النبي ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد ليسد باب الشرك، كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت غروبها لأن المشركين يسجدون للشمس حينئذ[3]، والشيطان يقارنها وقت الطلوع ووقت الغروب، فتكون في الصلاة حينئذ مشابهة لصلاة المشركين، فسد هذا الباب. والشيطان يضل بني آدم بحسب قدرته. فمن عبد الشمس والقمر والكواكب ودعاها كما يفعل أهل دعوة الكواكب فإنه ينزل عليه شيطان يخاطبه ويحدثه ببعض الأمور، ويسمون ذلك روحانية الكواكب، وهو شيطان والشيطان وإن أعان الإنسان على بعض مقاصده فإنه يضره أضعاف ما ينفعه، وعاقبة من أطاعه إلى شر إلا أن يتوب الله عليه. وكذلك

= والطبراني في «الأوسط» (٩٣٢٩)، والبيهقي في «السنن» (٥/ ٢٤٥). ومعنى «**رد علي روحي**»: أي رد علي نطقي لأنه ﷺ حي دائما وروحه لا تفارقه لأن الأنبياء أحياء في قبورهم اهـ. «فيض القدير» للمناري (٥/ ٤٦٧).

(١) **ضعيف**: أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٣٤١)، وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١٦٢)، وعزاه للبزار وفيه نعيم بن ضمضم ضعفه بعضهم وبقية رجاله رجال الصحيح، وأورده السيوطي في «الحبائك» (ص ١٠٥)، وقال: أخرجه العقيلي والطبراني وأبو الشيخ، وابن النجار عن عمار بن ياسر.

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (١٠٤٧)، والنسائي (١/ ٢٠٣)، وابن ماجه (١٠٨٥)، والطبراني في «الأوسط» (٢٤١)، والبيهقي في «السنن» (٣/ ٢٤٨)، وصححه الألباني في «إرواء الغليل» (٤).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٨٣٢)، وأحمد (٤/ ١١١)، وأبو داود (١٢٧٧)، والترمذي مختصرا (٣٥٧٩)، والحاكم (١/ ١٦٤).

عباد الأصنام قد تخاطبهم الشياطين، وكذلك من استغاث بميت أو غائب، وكذلك من دعا الميت أو دعا به أو ظن أن الدعاء عند قبره أفضل منه في البيوت والمساجد، ويروون حديثا هو كذب باتفاق أهل المعرفة وهو: «**إذا أعيتكم الأمور، فعليكم بأصحاب القبور**»، وإنما هذا وضع من فتح باب الشرك.

ويوجد لأهل البدع وأهل الشرك المتشبهين بهم من عباد الأصنام والنصارى والضلال من المسلمين أحوال عند المشاهد يظنونها كرامات، وهي من الشياطين، مثل أن يضعوا سراويل عند القبر فيجدونه قد انعقد، أو يوضع عنده مصروع فيرون شيطانه قد فارقه، يفعل الشيطان هذا ليضلهم، وإذا قرئت آية الكرسي هناك بصدق بطل هذا، فإن التوحيد يطرق الشيطان، ولهذا حمل بعضهم في الهواء فقال: لا إله إلا الله فسقط. ومثل أن يرى أحدهم أن القبر قد انشق وخرج منه إنسان، فيظنه الميت وهو شيطان. وهذا باب واسع لا يتسع له هذا الموضع.

ولما كان الانقطاع إلى المغارات [والبوادي من البدع التي لم يشرعها الله ولا رسوله صارت الشياطين كثيرا ما تأوي إلى المغارات]، والجبال مثل: مغارة الدم التي بجبل قاسيون، وجبل لبنان الذي بساحل الشام، وجبل الفتح [بأسوان] بمصر، وجبال بالروم وخراسان، وجبال بالجزيرة وغير ذلك، وجبل اللكام، وجبل سولان قرب أردبيل. وجبل شهنك عند تبريز، وجبل ماشكو عند أقشوان، وجبل نهاوند وغير ذلك من الجبال التي يظن بعض الناس أن بها رجالا من الصالحين من الإنس ويسمونهم رجال الغيب، وإنما هناك رجال من الجن، فالجن رجال كما أن الإنس رجال قال تعالى: ﴿ **وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا** ﴿٦﴾ ﴾ [الجن: ٦]، ومن هؤلاء من يظهر بصورة رجل شعراني جلده يشبه جلد الماعز، فيظن من لا يعرفه أنه إنسي، وإنما هو جني.

ويقال بكل جبل من هذه الجبال الأربعون الأبدال وهؤلاء الذين يظن أنهم الأبدال هم جن بهذه الجبال كما يعرف ذلك بطرق متعددة، وهذا باب لا يتسع هذا الموضع لبسطه وذكر ما نعرفه من ذلك، فإنا قد رأينا وسمعنا من ذلك ما يطول وصفه في هذا المختصر الذي كتب لمن سأل أن نذكر له من الكلام على

أولياء الله تعالى ما يعرف به جمل ذلك.

الخوارق في نظر الناس

والناس في خوارق العادات على ثلاث أقسام:

قسم يكذب بوجود ذلك لغير الأنبياء، وربما صدق به مجملا وكذب ما يذكر له عن كثير من الناس لكونه عنده ليس من الأولياء.

ومنهم من يظن كل من كان له نوع من خرق العادة كان وليا لله، وكلا الأمرين خطأ، ولهذا تجد أن هؤلاء يذكرون أن للمشركين وأهل الكتاب نصراء يعينونهم على قتال المسلمين، وأنهم من أولياء الله، وأولئك يكذبون أن يكون معهم من له خرق عادة.

والصواب القول الثالث وهو أن معهم من ينصرهم من جنسهم لا من أولياء الله ﷻ، كما قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [المائدة: ٥١]، وهؤلاء العباد والزهاد الذين ليسوا من أولياء الله المتقين المتبعين للكتاب والسنة تقترن بهم الشياطين، فيكون لأحدهم من الخوارق ما يناسب حاله، لكن خوارق هؤلاء يعارض بضعها بعضا، وإذا حصل من له تمكن من أولياء الله تعالى أبطلها عليهم، ولابد أن يكون في أحدهم من الكذب جهلا أو عمدا ومن الإثم ما يناسب حال الشياطين المقترنة بهم، ليفرق الله بذلك بين أوليائه المتقين وبين المتشبهين بهم من أولياء الشياطين، قال الله تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ [الشعراء: ٢٢١، ٢٢٢]، والأفاك الكذاب، والأثيم الفاجر.

ومن أعظم ما يقوي الأحوال الشيطانية سماع الغناء والملاهي وهو سماع المشركين قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾

[الأنفال: ٣٥]، قال ابن عباس وابن عمر ﷺ وغيرهما من السلف: التصدية التصفيق باليد، والمكاء مثل الصفير، فكان المشركون يتخذون هذا عبادة. أما النبي ﷺ وأصحابه فعبادتهم ما أمر الله به من الصلاة والقراءة والذكر [والدعاء] ونحو ذلك والاجتماعات الشرعية، ولم يجتمع النبي ﷺ وأصحابه على استماع غناء قط لا بكف ولا بدف ولا تواجد، ولا سقطت بردته بل كان ذلك كذبا باتفاق أهل العلم بحديثه. وكان أصحاب النبي ﷺ إذا اجتمعوا أمروا واحدا منهم أن يقرأ والباقون يستمعون. وكان عمر بن الخطاب ﷺ يقول لأبي موسى الأشعري: ذكرنا ربنا، فيقرأ وهم يستمعون. ومر النبي ﷺ بأبي موسى الأشعري وهو يقرأ فقال له: «**مررت بك البارحة وأنت تقرأ فجعلت أستمع لقراءتك**»، فقال: لو علمت أنك تستمع لحبرته لك تحبيرا[1]، أي لحسنته لك تحسينا.

زينوا القرآن بأصواتك

كما قال النبي ﷺ: «**زينوا القرآن بأصواتك**»[2]. وقال ﷺ: «**لله أشد أذنا** – أي استماعا – **إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته**»[3]. وقال ﷺ لابن مسعود: «**اقرأ علي القرآن**». قال أقرأ عليك وعليك أنزل؟ فقال: «**إني أحب أن أسمعه من غيري**». فقرأت عليه سورة النساء حتى انتهيت إلى هذه الآية ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ

(١) **صحيح**: أخرجه الحاكم (٣/ ٤٦٦)، من حديث أبي بردة، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وأورده الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٧١)، وقال: رواه أبو يعلى وفيه خالد بن نافع وهو ضعيف.

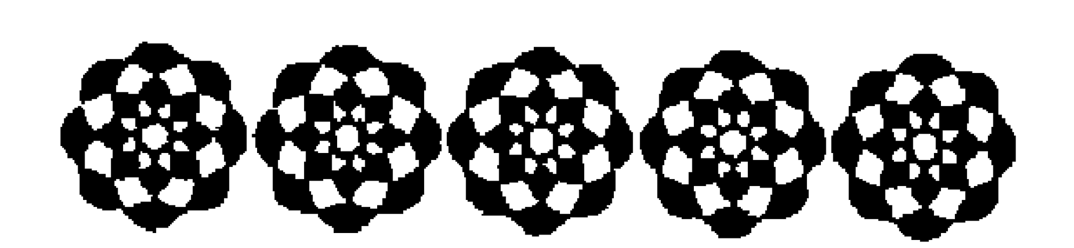
(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري معلقا (كتاب ٩٧/ باب ٥٢)، وأحمد (٤/ ٢٨٣)، وأبو داود (١٤٦٨)، والنسائي (٢/ ١٧٩)، وابن ماجه (١٣٤٢)، والدارمي (٢/ ٤٧٤)، والحاكم (١/ ٥٧١)، والبيهقي في «السنن» (٢/ ٥٣).

(٣) **حسن**: أخرجه أحمد (١/ ١٩)، وابن ماجه (١٣٤٠)، والطبراني (١٨/ ٣٠١)، والحاكم (١/ ٥٧٠)، والبيهقي في «السنن» (١٠/ ٢٣٠).

﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ [النساء: ٤١] قال: «حسبك». فإذا عيناه تذرفان من البكاء(١).

سماع النبيين

ومثل هذا السماع هو سماع النبيين وأتباعهم كما ذكر الله في القرآن فقال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ﴾ [مريم: ٥٨]، وقال في أهل المعرفة: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [المائدة: ٨٣]، ومدح سبحانه أهل هذا السماع بما يحصل لهم من زيادة الإيمان واقشعرار الجلد ودمع العين فقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].



---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٥٥٢)، ومسلم (٨٠٠)، وابن أبي شيبة (١٠/ ٥٦٣)، وأحمد (١/ ٣٨٠)، والترمذي (٣٠٢٨)، والبيهقي في «السنن» (١٠/ ٢٣٠)، والبغوي في «شرح السنة» (١٢٢٠).

سماع الكف والدف والقضيب

وأما السماع المحدث – سماع الكف والدف والقضيب – فلم تكن الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر الأكابر من أئمة الدين يجعلون هذا طريقا إلى الله تبارك وتعالى، ولا يعدونه من القرب والطاعات، بل يعدونه من البدع المذمومة، حتى قال الشافعي: خلفت ببغداد شيئا أحدثته الزنادقة يسمونه «**التغبير**» يصدون به الناس عن القرآن، وأولياء الله العارفون يعرفون ذلك، ويعلمون أن للشيطان فيه نصيبا وافرا، ولهذا تاب منه خيار من حضره منهم، ومن كان أبعد عن المعرفة وعن كمال ولاية الله كان نصيب الشيطان فيه أكثر، وهو بمنزلة الخمر، يؤثر في النفوس أعظم من تأثير الخمر ولهذا إذا قويت سكرة أهله نزلت عليهم الشياطين وتكلمت على ألسنة بعضهم وحملت بعضهم في الهواء، وقد تحصل عداوة بينهم كما تحصل بين شراب الخمر، فتكون شياطين أحدهم أقوى من شياطين الآخر، فيقتلونه ويظن الجهال أن هذا من كرامات أولياء الله المتقين، وإنما هذا مبعد لصاحبه عن الله، وهو من أحوال الشياطين، فإن قتل المسلم لا يحل إلا بما أحله الله، فكيف يكون قتل المعصوم مما يكرم الله به أولياءه؟ وإنما غاية الكرامة لزوم الاستقامة، فلم يكرم الله عبدا بمثل أن يعينه على ما يحبه ويرضاه، ويزده مما يقربه إليه ويرفع به درجته.

وذلك أن الخوارق منها ما هو من جنس العلم كالمكاشفات، ومنها ما هو من جنس القدرة والملك كالتصرفات الخارقة للعادات، ومنها ما هو من جنس الغنى، من جنس ما يعطاه الناس في الظاهر من العلم والسلطان والمال والغنى، وجميع ما يؤتيه الله لعبده من هذه الأمور [وغيرها] إن استعان به على ما يحبه الله ويرضاه ويقربه إليه ويرفع درجته ويأمره الله به ورسوله ازداد بذلك رفعة وقربا إلى الله ورسوله وعلت درجته، واستعان به على ما نهى الله عنه ورسوله – كالشرك والظلم والفواحش – استحق بذلك الذم والعقاب، فإن لم يتداركه الله تعالى بتوبة أو حسنات ماحية، وإلا كان كأمثاله من المذنبين. ولهذا كثيرا ما يعاقب

أصحاب الخوارق تارة بسلبها كما يعزل الملك عن ملكه ويسلب العالم علمه، وتارة بسلب التطوعات فينقل من الولاية الخاصة إلى العامة، وتارة ينزل إلى درجة الفساق، وتارة يرتد عن الإسلام، وهذا يكون فيمن له خوارق شيطانية، فإن كثيرا من هؤلاء يرتد عن الإسلام، وكثير منهم لا يعرف أن هذه [من الشياطين] بل يظنها من كرامات أولياء الله، ويظن من يظن منهم أن الله ﷻ إذا أعطى عبدا خرق عادة لم يحاسبه على ذلك، كمن يظن أن الله إذا أعطى عبدا ملكا ومالا وتصرفا لم يحاسبه عليه. ومنهم من يستعين بالخوارق على أمور مباحة لا مأمور بها ولا منهي عنها، فهذا يكون من عموم الأولياء وهم الأبرار المقتصدون، وأما السابقون المقربون فأعلى من هؤلاء، كما أن العبد الرسول أعلى من النبي الملك. ولما كانت الخوارق كثيرا ما ينقص بها درجة الرجل كان كثير من الصالحين يتوب من مثل ذلك ويستغفر الله تعالى، كما يتوب من الذنوب كالزنا والسرقة، وتعرض على بعضهم فيسأل الله زوالها، وكلهم يأمر المريد السالك أن لا يقف عندها ولا يجعلها همته ولا يتبجح بها، مع ظنهم أنها كرامات، فكيف إذا كانت بالحقيقة من الشياطين تغويهم بها، فإني أعرف من تخاطبه النباتات بما فيها من المنافع، وإنما يخاطبه الشيطان الذي دخل فيها، وأعرف ما يخاطبهم الحجر والشجر وتقول: هنيئا لك يا ولي الله، فيقرأ آية الكرسي فيذهب ذلك، وأعرف من يقصد صيد الطير فتخاطبه العصافير وغيرها وتقول: خذني حتى يأكلني الفقراء، ويكون الشيطان قد دخل فيها كما يدخل في الإنس، ويخاطبه بذلك. ومنهم من يكون في البيت وهو مغلق فيرى نفسه خارجه وهو لم يفتح وبالعكس، وكذلك في أبواب المدينة، وتكون الجن قد أدخلته وأخرجته بسرعة. أو تمر به أنوار أو تحضر عنده من يطلبه ويكون ذلك من الشياطين يتصورون بصورة صاحبه، فإذا قرأ آية الكرسي مرة بعد مرة ذهب ذلك كله. وأعرف من يخاطبه مخاطب ويقول له: أنا من أمر الله ويعده بأنه المهدي الذي بشر به النبي ﷺ ويظهر له الخوارق، مثل أن يخطر بقلبه تصرف في الطير والجراد في الهواء [وفي المواشي] فإذا خطر بقلبه ذهاب الطير أو الجراد يمينا وشمالا ذهب حيث أراد، وإذا خطر بقلبه قيام بعض المواشي أو نومه أو ذهابه حصل له ما أراد من غير حركة منه في الظاهر، وتحمله إلى مكة وتأتي به، وتأتيه بأشخاص في صورة جميلة وتقول

له: [هؤلاء] الملائكة الكروبيون أرادوا زيارتك، فيقول في نفسه: كيف تصوروا بصورة المردان؟ فيرفع رأسه فيجدهم بلحى، ويقول له: علامة أنك أنت المهدي أنك تنبت في جسدك شامة فتنبت ويراها وغير ذلك، وكله من مكر الشيطان [به]. وهذا باب واسع لو ذكرت ما أعرفه منه لاحتاج إلى مجلد كبير. وقد قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ ﴾ [الفجر: ١٥، ١٦] قال الله تبارك وتعالى: ﴿ كَلَّا ﴾، ولفظ ﴿ كَلَّا ﴾ فيها زجر.

وتنبيه: زجر عن مثل هذا القول، وتنبيه على ما يخبر به ويؤمر به بعده، وذلك أنه ليس كل من حصل له نعم دنيوية بعد كرامة يكون الله ﷻ مكرما له بها، ولا كل من قدر عليه ذلك يكون مهينا له بذلك، بل هو سبحانه يبتلي عبده بالسراء والضراء، فقد يعطي النعم الدنيوية لا لمن يحبه ولا هو كريم عنده ليستدرجه بذلك، وقد يحمي منها من يحبه ويواليه لئلا ينقص بذلك مرتبته عنده، أو يقع بسببها فيما يكرهه منه.

كرامات الأولياء سببها الإيمان والتقوى

وأيضا كرامات الأولياء لابد أن يكون سببها الإيمان والتقوى، فما كان سببه الكفر والفسوق والعصيان فهو من خوارق أعداء الله لا من كرامات أولياء الله، فمن كانت خوارقه لا تحصل بالصلاة والقراءة والذكر وقيام الليل والدعاء، وإنما تحصل عند الشرك مثل دعاء الميت والغائب، أو بالفسق والعصيان وأكل المحرمات كالحيات والزنابير والخنافس والدم وغيره من النجاسات ومثل الغناء والرقص، لاسيما مع النسوة الأجانب والمردان، وحالة خوارقه تنقص عند سماع القرآن وتقوى عند سماع مزامير الشيطان. فيرقص ليلا طويلا، فإذا جاءت الصلاة صلى قاعدا أو ينقر الصلاة نقر الديك، وهو يبغض سماع القرآن وينفر عنه ويتكلفه ليس له فيه محبة ولا ذوق ولا لذة عند وجده، ويحب سماع المكاء والتصدية ويجد

عنده مواجيد، فهذا أحوال شيطانية، وهو ممن يتناوله قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الزخرف: ٣٦] فالقرآن هو ذكر الرحمن قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه: ١٢٤ – ١٢٦] يعني تركت العمل بها، قال ابن عباس رضي الله عنهما تكفل الله لمن قرأ كتابه وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ثم قرأ هذه الآية.

فصل في أن رسول الله ﷺ بعث إلى جميع الإنس والجن كافة

ومما يجب أن يعلم أن الله بعث محمدا ﷺ إلى جميع الإنس والجن فلم يبق إنسي ولا جني إلا وجب عليه الإيمان بمحمد ﷺ واتباعه، فعليه أن يصدقه فيما أخبر، ويطيعه فيما أمر، ومن قامت عليه الحجة برسالته فلم يؤمن به فهو كافر سواء كان إنسيا أو جنيا، ومحمد ﷺ مبعوث إلى الثقلين باتفاق المسلمين، وقد استمعت الجن القرآن وولوا إلى قومهم منذرين لما كان النبي ﷺ يصلي بأصحابه ببطن نخلة لما رجع من الطائف وأخبره الله بذلك في القرآن بقوله: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأحقاف: ٢٩ – ٣٢]، وأنزل الله تعالى بعد ذلك: ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ

فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ [الجن: ١ – ٦] أي السفيه منها في أظهر قول العلماء، وقال غير واحد من السلف: كان الرجل من الإنس إذا نزل بالوادي قال: أعوذ بعظيم هذا الوادي من شر سفهاء قومه، فلما استغاثت الإنس بالجن ازدادت الجن طغيانا وكفرا، كما قال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾﴾ [الجن: ٦ – ٨]، وكانت الشياطين ترمى بالشهب قبل أن ينزل القرآن، لكن كانوا أحيانا يسترقون السمع قبل أن يصل الشهاب إلى أحدهم، فلما بعث محمد ﷺ ملئت السماء حرسا شديدا وشهبا. وصارت الشهب مرصدة لهم قبل أن يسمعوا كما قالوا: ﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾ [الجن: ٩]، وقال تعالى في الآية الأخرى: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾ [الشعراء: ٢١٠ – ٢١٢] قالوا: ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾﴾ [الجن: ١٠، ١١] أي على مذاهب شتى، كما قال العلماء منهم المسلم والمشرك واليهودي والنصراني والسني والبدعي ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾﴾ [الجن: ١٢] أخبروا أنهم لا يعجزونه لا إن أقاموا في الأرض ولا [إذا] هربوا منه: ﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ﴾ [الجن: ١٣، ١٤] أي الظالمون، يقال أقسط إذا عدل، وقسط إذا جار وظلم: ﴿ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ

ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ [الجن: ١٤ – ٢٢] أي ملجأ ومعاذا ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾﴾ [الجن: ٢٣، ٢٤] ثم لما سمعت الجن القرآن أتوا إلى النبي ﷺ [فبايعوه] وآمنوا به وهم جن نصيبين كما ثبت ذلك في الصحيح من حديث ابن مسعود(١)، وروى أنه قرأ عليهم سورة الرحمن وكان إذا قال: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ [الرحمن: ١٣] قالوا: ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد(٢). ولما اجتمعوا بالنبي ﷺ سألوه الزاد لهم ولدوابهم فقال: «**لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه تجدوه أوفر ما يكون لحما، وكل بعرة علف لدوابكم**»، قال النبي ﷺ: «**فلا تستنجوا بهما فإنهما زاد لإخوانكم من الجن**» (٣). وهذا النهي ثابت عنه من وجوه متعددة، وبذلك احتج العلماء على النهي عن الاستنجاء بذلك وقالوا: فإذا منع من الاستنجاء بما للجن ولدوابهم فما أعد للإنس ولدوابهم من الطعام والعلف أولى وأحرى. ومحمد ﷺ أرسل إلى جميع الإنس والجن، وهذا أعظم قدرا عند الله تعالى من كون الجن سخروا لسليمان عليه السلام، فإنهم سخروا له يتصرف فيهم بحكم الملك، ومحمد ﷺ أرسل إليهم يأمرهم بما أمر الله ورسوله، لأنه عبد الله ورسوله، ومنزلة العبد الرسول فوق منزلة النبي الملك: وكفار الجن يدخلون النار بالنص والإجماع، وأما مؤمنوهم فجمهور العلماء أجمعوا على أنهم يدخلون الجنة، وجمهور العلماء على أن الرسل من الإنس ولم يبعث من الجن رسول، لكن منهم النذر. وهذه المسائل لبسطها موضع آخر.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٧٣)، ومسلم (٤٤٩)، وأحمد (٢٢٧١).

(٢) **حسن**: أخرجه الترمذي (٣٢٩١)، والحاكم (٢/ ٤٧٣)، وحسنه الألباني.

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٤٥٠)، وابن أبي شيبة (١/ ١٥٥)، وأبو داود (٣٩)، والترمذي (١٨)، وابن خزيمة (٨٢)، وابن حبان (١٤٣٢)، والطيالسي (١/ ٤٧)، والبغوي في «شرح السنة» (١٧٨).

أحوال الجن مع الإنس

والمقصود هنا أن الجن مع الإنس على أحوال: فمن كان من الإنس يأمر الجن بما أمر الله به ورسوله من عبادة الله وحده وطاعة نبيه ويأمر الإنس بذلك، فهذا من أفضل أولياء الله تعالى، وهو في ذلك من خلفاء الرسول ونوابه ومن كان يستعمل الجن في أمور مباحة له فهو كمن استعمل الإنس في أمور مباحة وهذا [إذا] كأن يأمرهم بما يجب عليهم وينهاهم عما حرم عليهم ويستعملهم في مباحات له، فيكون بمنزلة الملوك الذين يفعلون مثل ذلك، وهذا إذا قدر أنه من أولياء الله تعالى فغايته أن يكون في [عموم] أولياء الله مثل النبي الملك مع العبد الرسول، كسليمان ويوسف مع إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ومن كان يستعمل الجن فيما ينهى الله عنه ورسوله إما في الشرك وإما في قتل معصوم الدم أو العداون عليهم بغير القتل كتمريضه وإنسائه العلم وغير ذلك من الظلم، وإما في فاحشة كجلب من يطلب فيه الفاحشة، فهذا قد استعان بهم على الإثم والعدوان. ثم إن استعان بهم على الكفر فهو كافر وإن استعان بهم على المعاصي فهو عاص إما فاسق وإما مذنب غير فاسق، وإن لم يكن تام العلم بالشرعية فاستعان بهم فيما يظن أنه من الكرامات، مثل أن يستعين بهم على [الحج أو] أن يطيروا به عند السماع البدعي أو أن يحملوه إلى عرفات ولا يحج الحج الشرعي الذي أمر الله به ورسوله، وأن يحملوه من مدينة إلى مدينة ونحو ذلك، فهذا مغرور قد مكروا به وكثير من هؤلاء قد لا يعرف أن ذلك من الجن، بل قد سمع أن [لأولياء] الله كرامات خوارق للعادات، وليس عندهم من حقائق الإيمان ومعرفة القرآن ما يفرق به بين الكرامات الرحمانية وبين التلبيسات الشيطانية. فيمكرون به بحسب اعتقاده، فإن كان مشركا يعبد الكواكب والأوثان أوهموه أنه ينتفع بتلك العبادة [وقد] يكون قصده الاستشفاع والتوسل ممن صور ذلك الصنم على صورته من ملك أو نبي أو شيخ صالح، فيظن أنه يعبد ذلك النبي [أو الشيخ] أو الصالح، وتكون عبادته في الحقيقة للشيطان، قال الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ

جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [سبأ: ٤٠، ٤١]، ولهذا كان الذين يسجدون للشمس والقمر والكواكب يقصدون السجود لها، فيقارنها الشيطان عند سجودهم ليكون سجودهم له، ولهذا يتمثل الشيطان بصورة من يستغيث به المشركون، فإن كان نصرانيا واستغاث بجرجس أو غيره جاء الشيطان في صورة جرجس أو [غيره ممن] يستغيث به، وإن كان منتسبا إلى الإسلام [وقد] استغاث بشيخ يحسن الظن به من شيوخ المسلمين جاء في صورة ذلك الشيخ، وإن كان من مشركي الهند جاء في صورة من يعظمه ذلك المشرك. ثم إن الشيخ المستغاث به إن كان ممن له خبرة بالشريعة لم يعرفه الشيطان أنه تمثل لأصحابه المستغيثين به، وإن كان الشيخ ممن لا خبرة له بأقوالهم نقل أقوالهم له فيظن أولئك أن الشيخ سمع أصواتهم من البعد وأجابهم وإنما هو بتوسط الشيطان. ولقد أخبر بعض الشيوخ الذين كان قد جرى لهم مثل هذا بصورة مكاشفة ومخاطبة فقال: يرونني الجن شيئا براقا مثل الماء والزجاج ويمثلون له فيه ما يطلب منه الإخبار به، قال فأخبر الناس به ويوصلون إلى كلام من استغاث بي من أصحابي فأجيبه فيوصلون جوابي إليه. وكان كثير من الشيوخ الذين حصل لهم كثير من هذه الخوارق إذا كذب بها من لم يعرفها وقال إنكم تفعلون هذا بطريق الحيلة كما يدخل النار بحجر الطلق وقشور النارنج ودهن الضفادع وغير ذلك من الحيل الطبيعية، فيعجب هؤلاء المشايخ ويقولون نحن والله نعرف شيئا من هذه الحيل، فلما ذكر لهم الخبير أنكم لصادقون في ذلك ولكن هذه الأحوال شيطانية أقروا بذلك وتاب منهم من تاب الله عليه لما نبين لهم الحق، وتبين لهم من وجوه أنها من الشيطان، ورأوا أنها من الشياطين لما رأوا أنها تحصل بمثل البدع المذمومة في الشرع وعند المعاصي لله، فلا يحصل عندما يحبه الله ورسوله من العبادات الشرعية، فعلموا أنها حينئذ من مخارق الشيطان لأوليائه، لا من كرامات الرحمن لأوليائه.

والله ﷻ أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب، وصلى الله وسلم على محمد سيد رسله وأنبيائه، وعلى آله وأصحابه وأنصاره وأشياعه وخلفائه، صلاة وسلاما نستوجب بهما شفاعته.



فهرس الكتاب



امام الباب الأخضر - سيدنا الحسين
٥٩٢٢٤١٠ ٥٩٠٤١٧٥

المكتبة التوفيقية

المكتبة التوفيقية

أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين
٥٩٠٤١٧٥ ٥٩٢٢٤١٠